

كتاب

مشكاة الانوار للامام حجة الاسلام الغزالي

ويليه ترجمة المؤلف بالتفصيل

لحضرة الفاضل الشيخ

احمد عزت المصري

الحا

طبع بمعرفة حضرتي الفاضلين

الشيخ احمد عزت والشيخ

فرج الله زكي الكردي

يباع بالمكتبة الملوكية لصاحبها الشيخ

فرج الله زكي المذكور

طبع بمطبعة الصدق باول شارع قصر الشوق

بالجمالية بمصر سنة ١٣٢٢

كتاب

مشكاة الانوار للامام حجة الاسلام الغزالي

ويليه ترجمة المؤلف بالتفصيل

لحضرة الفاضل الشيخ

احمد عزت المصري

المحلى

طبع بمعرفة حضرتي الفاضلين

الشيخ احمد عزت والشيخ

فرج الله زكي الكردي

يباع بالمكتبة الملوكية لصاحبها الشيخ

فرج الله زكي المذكور

طبعت بمطبعة الصدق باول شارع قصر الشوق

بالجمالية بمصر سنة ١٣٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مفيض الانوار وفاتح الابصار وكاشف الاسرار ورافع الأستار والصلاة على محمد نور الانوار وسيد الابرار وحبيب الجبار وبشير الغفار ونذير القهار وقامع الكفار وفاضح الفجار وعلى آله واصحابه الطاهرين الاخيار أما بعد فقد سألتني ايها الاخ الكريم قيضك الله لطلب السعادة الكبرى ورشحك للعروج الى الذروة العليا وكحل بنور الحقيقة بصيرتك ونقي عما سوى الحق سريرتك ان أبث اليك اسرار الانوار الالهية مقرونة بما يشير اليه ظواهر الآيات المتلوة والاخبار المروية مثل قوله تعالى الله نور السموات والارض ومعنى تشبيهه ذلك بالمشكاة والزجاجة والمصباح والزيت والشجرة مع قوله عليه السلام ان لله سبعين الف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره ولقد ارتقيت بسؤالك مرتقى صعبا تنخفض دون اعاليه مرامي اعين

الناظرين وقرعت باباً مغلقاً لاينفتح الا للعلماء الراسخين ثم ليس كل سر يكشف ويفشى ولا كل حقيقة تعرض وتجلى بل صدور الاحرار قبور الاسرار ولقد قال بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر بل قال سيد الاولين والآخرين ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره عليهم الا اهل الاغترار بالله ومهما كثر اهل الاغترار بالله وجب حفظ الاسرار عن وجه الاشرار لكني اراك منشرح الصدر بالنور منزه السر عن ظلمات الغرور فلا اشح عليك بالاشارة الى لوامع ولوائح والرمز الى حقائق ودقائق فليس الظلم في كف العلم عن اهله بأقل منه في بثه الى غير اهله فقد قيل

(فمن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم)

فاقنع باشارات مختصرة وتلويحات موجزة فان تحقيق القول فيه يستدعى تمهيد اصول وشرح فصول ليس يتسع له الآن وقتي ولا ينصرف اليه ذهني ولا همتي ومفاتيح القلوب بيد الله يفتحها اذا شاء كما شاء بما شاء وانما ينفتح في هذا الوقت فصول ثلاثة الفصل الاول في بيان ان النور الحق هو الله تعالى وان اسم النور لغيره مجاز محض لا حقيقة له وبيانه بأن تعرف معنى النور بالوضع الاول

عند العوام ثم بالوضع الثاني عند الخواص ثم بالوضع الثالث عند خواص الخواص ثم تعرف درجات النور المنسوبة الى الخواص وحقائقها لنكشف لك عند ظهور درجاتها ان الله تعالى هو النور الاعلى الاقصا وعند انكشاف حقائقها انه النور الحق الحقيقي وحده لا شريك له فيه أما الوضع الاول العامي فالنور يشير الى الظهور والظهور أمر اضافي اذ يظهر الشيء لا محالة لغيره ويبطن عن غيره فيكون ظاهراً بالاضافة باطنا بالاضافة واضافة ظهوره الى الادراكات لا محالة وأقوى الادراكات واجلها عند العوام الحواس ومنها حاسة البصر والاشياء بالاضافة إلى الحس البصري ثلاثة أقسام منها مالا يبصر بنفسه كالاجسام المظلمة ومنها ما يبصر بنفسه ولا يبصر به غيره كالاجسام المضيئة مثل الكواكب وجسم النار اذا لم تكن مشعلة ومنها مايبصر بنفسه ويبصر به غيره كالشمس والقمر والنيران المشعلة والسرج والنور اسم لهذا القسم الثالث ثم تارة يطلق على ما يفيض من هذه الاجسام المنيرة على ظواهر الاجسام الكثيفة فيقال استنارت الارض ووقع نور الشمس على الارض ونور السراج على الحائط والثوب وتارة يطلق على نفس هذه الاجسام المشرقة أيضاً لانها في انفسها مستنيرة وعلى الجملة فالنور عبارة عما يبصر بنفسه ويبصر

به غيره كالشمس هذا حده وحقيقته بالوضع الاول (دقيقة) لما كان سر النور وروحه هو الظهور للادارك وكان الادراك موقوفاً على وجود النور وعلى وجود العين الباصرة أيضاً اذ النور هو الظاهر المظهر وليس شيء من الانوار ظاهراً في حق العميان ولا مظهراً فقد ساوى الروح الباصرة النور الظاهر في كونه ركنا لا بد منه للادراك ثم يرجح عليه في ان الروح الباصرة هي المدركة وبها الادراك واما النور فليس بمدرك ولا به ادراك بل عنده الادراك وكان اسم النور بالنور احق منه بالنور المبصر فاطلقو اسم النور على نور العين المبصرة فقالوا في الخفاش ان نور عينه ضعيف وفي الاعمش انه ضعيف نور البصر وفي الاعمى انه فقد نور بصره وفي السواد انه يجمع نور البصر ويقويه والاجفان انما خصتها الحكمة الالهية بلون السواد وجعل العين محفوفة بها لتجمع ضوء العين واما البياض فيفرّق نور العين فيضعف نوره حتى ان إدامة النظر الى البياض المشرق بل الى نور الشمس يبهر نور العين ويمحقه كما يمحق الضعيف في جنب القوي فقد عرفت بهذا ان الروح الباصر يسمى نوراً وانه لم سمي نوراً وانه لم كان بهذا الاسم أولى وهذا هو الوضع الثاني وهو وضع الخواص (حقيقة) إعلم ان نور البصر موسوم

بانواع من النقصان فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا يبصر مابعد
منه ولا ما قرب ولا يبصر ماهو وراء حجاب ويبصر من الاشياء
ظاهرها دون باطنها ويبصر من الموجودات بعضها دون كلها
ويبصر اشياء متناهية ولا يبصر مالانهاية له ويغلط كثيراً في ابصاره
فيرى الكبير صغيراً ويرى البعيد قريباً والساكن متحركاً والمتحرك
ساكناً فهذه سبع نقائص لاتفارق العين الظاهرة فان كان في الاعين
عين منزه عن هذه النقائص كلها فليت شعري هل هو أولى باسم
النور فعلم ان في قلب الانسان عيناً هذه صفة كمالها وهي التي يعبر
عنها تارة بالعقل وتارة بالروح وتارة بالنفس الانساني دع عنك
هذه العبارات فانها اذا كثرت أوهمت عند الضعيف البصيرة كثرة
المعاني فنعني به المعنى الذي يتميز به العاقل عن الطفل الرضيع
وعن البهيمة وعن المجنون ولنسمه عقلاً متابعة للجمهور في الاصطلاح
فنقول العقل أولى بأن يسمى نوراً من العين الظاهرة لرفعة قدره
عن النقائص السبع أما الاولى فهو ان العين لاتبصر نفسها والعقل
يدرك غيره ويدرك نفسه ويدرك صفات نفسه اذ يدرك نفسه عالما
وقادراً ويدرك علم نفسه ويدرك علمه بعلمه بنفسه وعلمه بعلمه بعلمه نفسه
الى غير نهاية وهذه خاصة لاتتصور لما يدرك بآلة الاجسام ووراءه

سر يطول شرحه الثانية ان العين لاتبصر ماقرب منها قرباً مفرطا
ولا ما بعد والعقل عنده يستوي القريب والبعيد ويعرج في طرفة
الى أعلا السموات رُقياً وينزل في لحظة الى تخوم الارض هُوِياً
بل اذا حقت الحقائق انكشف انه منزه عن ان يحوم بجنبات قدسه
القرب والبعد الذي يعرض بين الاجسام فانه انموذج من نور
الله تعالى ولا يخلو الانموذج عن محاكاة وان كان لا يرقى الى ذروة
المساوقة وهذا ربما هزك للتفطن لسر قوله صلى الله عليه وسلم (ان
الله خلق آدم على صورته) فلست ارى الآن الخوض في بيانه
الثالثة ان العين لاتدرك ماوراء الحجاب والعقل يتصرف في العرش
والكرسى وما وراء حجب السموات وفى الملأ الاعلى والملكوت
كتصرفه في عالمه الخاص به ومملكته القريبة اعني بها الخاصة به
بل الحقائق كلها لاتحجب عن العقل وانما حجاب العقل حيث يحجب
من نفسه لنفسه بسبب صفات مقارنة له تضاهي حجاب العين من
نفسه عند تغميض الاجفان وستعرف هذا فى الفصل الثالث من
الكتاب الرابعة ان العين تدرك من الاشياء ظاهرها وسطحها الاعلى
دون باطنها بل قوالبها وصورها دون حقائقها والعقل يتغلغل الى
بواطن الاشياء واسرارها ويدرك حقائقها وارواحها ويستنبط

اسبابها وعللها وحكمها وانها مم حدثت وكيف خلقت ومن كم معنى جمع الشئ وركب وعلى اي مرتبة في الوجود نزل وما نسبته الى سائر مخلوقاته الى مباحث اخر يطول شرحها نرى الايجاز فيها اولى الخامسة ان العين تبصر بعض الموجودات إذ تقصر عن جميع المعقولات وعن كثير من المحسوسات ولا تدرك الاصوات ولا الروائح والطعوم والحرارة والبرودة والقوى المدركة اعني قوة السمع والشم والذوق بل الصفات الباطنة النفسانية كالفرح والسرور والغم والحزن والالم واللذة والعشق والشهوة والقدرة والارادة والعلم الى غير ذلك من موجودات لاتحصى ولا تعد فهو ضيق المجال مختصر المجرى لاتسعه مجاوزة عالم الالوان والاشكال وهما اخس الموجودات فان الاجسام في نفسها اخس اقسام الموجودات والالوان والاشكال من اخس اعراضها والموجودات كلها مجال العقل اذ يدرك هذه الموجودات التي عددناها وما لم نعده وهو الاكثر فيتصرف في جميعها ويحكم عليها حكماً يقيناً صادقاً فالاسرار الباطنة عنده ظاهرة والمعاني الخفية عنده جلية فمن اين للعين الباصرة مساواته في استحقاق اسم النور كلا انها نور بالاضافة الى غيرها ولكنها ظلمة بالاضافة اليه بل هي جاسوس من جواسيسه

وكّلها باخس خزائنه وهي خزانة الالوان والاشكال لترفع الى حضرته اخبارها فيقضي فيها بما يقتضيه رأيه الثاقب وحكمه النافذ والحواس جواسيسه سواها وهي من خيال ووهم وفكر وذكر وحفظ ووراءهم خدم وجنود مسخرة له في عالمه الحاضر يسخرهم ويتصرف فيهم استسخار الملك عبيده بل اشد وشرح ذلك يطول وقد شرحناه في كتاب عجائب القلب من كتب الاحيا (السادسة) ان العين لا تبصر مالانهاية له فانها تبصر صفات الاجسام المعلومات والاجسام لا تتصور الا متناهية والعقل يدرك المعقولات والمعقولات لاتتصور ان تكون متناهية نعم اذا لاحظ العلوم المتحصلة فلا يكون الحاضر الحاصل عنده الا متناهياً لكن في قوته ادراك ما لا نهاية له وشرح ذلك يطول فان أردت له مثالا فخذ من الحساب فانه يدرك الاعداد ولا نهاية لها بل يدرك تضعيفات الاثنين والثلاثة وسائر الاعداد ولا يتصور لها نهاية ويدرك انواعاً من النسب بين الاعداد ولا يتصور لها نهاية بل يدرك علمه بالشيء وعلمه بعلمه بالشي وعلمه بعلمه بعلمه وقوته في هذا الوجه أيضاً لا تقف عند نهاية (السابعة) ان العين تدرك الكبير صغيراً فترى الشمس في مقدار مجر والكواكب في صورة دنانير منثورة على بساط ازرق والعقل يدرك ان الكواكب

والشمس اكبر من الارض اضعافاً مضاعفة وترى الكواكب ساكنة بل ترى الظل بين يديه ساكناً وترى الصبي ساكناً في مقداره والعقل يدرك ان الصبي يتحرك في النمو والتزيد على الدوام والظل متحرك دائما والكواكب تتحرك في كل لحظة اميالا كثيرة كما قال صلى الله عليه وسلم لجبريل ازالت الشمس فقال لا نعم قال وكيف قال منذ قلت لا الى ان قلت نعم قد تحركت مسيرة خمسمائة عام وانواع غلط البصر كثيرة والعقل منزه عنها فان قلت نرى العقلاء يغلطون في نظرهم فاعلم ان خيالاتهم واوهامهم قد تحكم باعتقادات يظنون ان احكامها احكام العقل فالغلط منسوب اليها وقد شرحنا مجامعها في كتاب معيار العلم وكتاب محك النظر فاما العقل اذا تجرد عن غشاوة الوهم والخيال لم يتصور ان يغلط بل يرى الاشياء على ماهي عليه وفي تجرده عسر وانما يكمل تجرده عن هذه النوازع بعد الموت وعند ذلك ينكشف الغطا وتتجلى الاسرار ويصادف كل احد ما قدمه من خير او شر محضرا ويشاهد كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وعندها يقال له فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وانما الغطاء غطاء الخيال والوهم وعندها يقول المغرور باوهامه واعتقاداته الفاسدة وخيالاته الباطلة ربنا ابصرنا وسمعنا

فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فقد عرفت بهذا ان العين اولى باسم النور من النور المعروف المحسوس ثم عرفت ان العقل اولى باسم النور من العين بل بينهما من التفاوت ما يصح ان يقال معه انه اولى بل الحق انه يستحق الاسم دونه (دقيقة) اعلم انّ العقول وان كانت مبصرة فليست المبصرات عندها كلها على مرتبة واحدة بل بعضها تكون عندها كانها حاضرة كالعلوم الضرورية مثل علمه بان الشيء الواحد لا يكون قديما حديثا ولا يكون موجودا معدوما والقول الواحد لا يكون صدقا وكذبا وانّ الحكم اذا ثبت للشيء جوازه ثبت لمثله وان الاخص اذا كان موجودا كان الاعم واجب الوجود فاذا وجد السواد فقد وجد اللون واذا وجد الانسان فقد وجد الحيوان واما عكسه فلا يلزم في العقل اذ لا يلزم من وجود اللون وجود السواد ولا من وجود الحيوان وجود الانسان الى غير ذلك من القضايا الضرورية في الواجبات والجائزات والمستحيلات ومنها مالا يقارن العقل في كل حال اذا عرض عليه بل يحتاج الى ان يهز اعطافه ويستورى زناده وينبه عليه بالتنبيه كالنظريات وانما ينبهه كلام الحكماء فعند اشراق نور الحكمة يصير الانسان مبصراً بالفعل بعد ان كان مبصراً بالقوة واعظم

الحكمة كلام الله تعالى ومن جملة كلامه القرآن خاصة فيكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة اذ به يتم الابصار فبالحرى ان يسمى القرآن نوراً كما يسمى نور الشمس نوراً فمثال القرآن نور الشمس ومثال العقل نور العين وبهذا يفهم معنى قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا وقوله تعالى قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبينا « تكملة لهذه الدقيقه » فاذافهمت من هذا ان العين عينان ظاهرةوباطنة الظاهرة من عالم الحس والمشاهدة والباطنة من عالم آخر وهو عالم الملكوت ولكل عين من العينين شمس ونور عنده تصير كاملة الابصار احداها ظاهرة والاخرى باطنة والظاهرة منعالم الشهادة وهي الشمس المحسوسة والباطنة من عالم الملكوت وهو القرآن وكتب الله المنزلة ومهما انكشف لك هذا انكشافاً تاماً فقدانفتح لك باب من أبواب الملكوت وفي هذا العالم عجائب يستحقر بالاضافة اليها عالم الشهادة ومن لم يسافر الى هذا العالم وقعد به القصور في حضيض عالم الشهادة فهو بهيمة بعد ومحروم عن خاصية الانسانية بل أضل من البهيمة اذ لم تعط البهيمة أجنحة الطيران الى هـذا العالم ولذلك قال تعالى أولئك كالانعام بل هم أضل واعلم ان عالم الشهادة بالاضافة

الى عالم الملكوت كالقشرة بالاضافة الى اللب وكالصورة والقالب بالاضافة الى الروح وكالظلمة بالاضافة الى النور وكالسفل بالاضافة الى العلو ولذلك يسمى عالم الملكوت العالم العلوي والعالم الروحاني والعالم النوراني وفي مقابلته العالم السفلي والجسماني والظلماني ولاتظنن انا نعني بالعالم العلوي السموات فانها علو وفوق في حق بعض عالم الشهادة والحس يشارك في ادرا كها البهائم واما العبد فلا تفتح له ابواب الملكوت ولا يصير ملكوتياً الا وتبدّل في حقه الارض غير الارض والسموات ولا يصير كل ما هو داخل تحت الحس والخيال ارضه ومن جملتها السموات وكل ما ارتفع عن الحس سماؤه وهذا هو المعراج الاول لكل سالك ابتدأ سفره لقرب الحضرة الربوبية فالانسان مردود الى اسفل سافلين ومنه يترقى الى العالم الاعلى واما الملائكة فانهم من جملة عالم الملكوت عالقون في حضرة القدس ومنها يشرفون على العالم الاسفل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق في ظلمة ثم افاض عليهم من نوره وقال لله ملائكة هم اعلم باعمال الناس منهم والانبياء اذا بلغ معراجهم الى عالم الملكوت فقد بلغوا المبلغ الاقصى واشرفوا على جملة من عالم الغيب اذ من كان في عالم الملكوت كان عند الله وعنده مفاتيح

الغيب اي من عنده تنزل اسباب الموجودات في عالم الشهادة اذ عالم الشهادة اثر من آثار ذلك العالم يجري منه مجرى الظل بالاضافة الى الى الشخص ومجرى الثمر بالاضافة الى المثمر والمسبب بالاضافة الى السبب ومفاتيح معرفة المسببات انما تؤثر من الاسباب ولذلك كان عالم الشهادة مثالا لعالم الملكوت كما سيأتي في بيان المشكاة والمصباح والشجرة لان المشبه لا يخلو عن موازاة المشبه به ومحاكاته نوعاً من المحا كاة على قرب او بعد وهذا الآن له غور عميق ومن اطلع على كنه حقيقته انكشفت له حقائق امثلة القرآن على يسر (دقيقة ترجع الى حقيقه النور) قلنا ان كل ما يبصر نفسه وغيره اولى باسم النور فان كان من جملته ما يبصر به غيره ايضاً مع انه يبصر نفسه وغيره فهو اولى باسم النور من الذي لا يؤثر في غيره اصلا بل بالحري ان يسمى سراجاً منيراً لفيضان انواره على غيره وهذه الخاصة توجد للروح القدسي النبوي اذ تفيض بواسطته انوار المعارف على الخلق وبه يفهم تسمية الله محمداً صلي الله عليه وسلم سراجاً منيراً والانبياء كلهم سرج وكذلك العلماء ولكن التفاوت بينهم لا يحصى (دقيقة) اذا كان اللائق بالذي يستفاد منه نور الابصار ان يسمى سراجاً منيراً فالذي يقتبس منه السراج في نفسه

جدير بان يكني عنه بالنار وهذه السرج الارضية انما تقتبس في اصلها من انوار علويه والروح القدسي النبوي يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار لكن انما يصير نوراً على نور اذا مسته النار فبالحري ان يكون مقتبس الارواح الارضية من الارواح الالهية العلوية التي وصفها علي وابن عباس عليهما السلام فقالا ان لله ملكا له سبعون الف وجه في كل وجه سبعون الف فم في كل فم سبعون الف لسان يسبح الله بجميعها وهو الذي قوبل بالملائكة كلهم فقيل يوم يقوم الروح والملائكة صفاً فهي اذا اعتبرت من حيث يقتبس منها السرج الارضية لم يكن لها مثال الا النار وذلك لا يؤنس الا من جانب الطور (دقيقة) الانوار السماوية التي منها تقتبس الانوار الارضية ان كان لها أن تترتب بحيث يقتبس بعضها من بعض فالاقرب من المنبع الاول أولى باسم النور لانه أعلى رتبة ومثال ترتيبها في عالم الشهادة لا يدركه الانسان الا بأن يبصر ضوء القمر داخلا في كوة بيت واقعاً على مرآة منصوبة على حائط منعطفاً منها على حائط آخر في مقابلتها ثم منعطفاً منها على الارض بحيث تستنير منه الارض فانت تعلم أن ما على الارض من النور تابع لما على الحائط وما على الحائط تابع لما على المرآة وما على المرآة تابع للقمر وما في القمر تابع لما في الشمس

اذ منها يشرق النور على القمر وهذه الانوار الاربعة مترتبة بعضها أعلى من بعض وأكمل من بعض ولكل واحد مقام معلوم ودرجة خاصة لا يتعداها فاعلم انه قد انكشف لارباب البصائر ان الانوار الملكوتية انما وجدت على ترتيب كذلك وان المقرّب هو الاقرب الى النور الاقصى فلا يبعد ان يكون رتبة اسرافيل فوق رتبة جبريل وان فيهم الاقرب الذي تقرب درجته من حضرة الربوبية التي هي منبع الانوار كلها وان فيهم الادنى وبينهم درجات تستعصى على الاحصا وانما المعلوم كثرتهم وترتبهم في صفوفهم وانهم كما وصفوا به انفسهم اذ قالوا (وما منا الاله مقام معلوم) وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون (دقيقة) اذا عرفت أن الانوار لها ترتيب فاعلم انها لا تتسلسل الى غير نهاية بل ترتقي الى منبع اول هو النور لذاته وبذاته ليس يأتيه نور من غيره ومنه تشرق الانوار كلها على ترتيبها فانظر الآن هل اسم النور احق واولى بالمستنير المستعير نوره من غيره او بالمنير في ذاته المنور لكل ماسواه فما عندي انه يخفى عليك الحق فيه وبه تتحق ان اسم النور احق بالنور الاقصى الاعلي الذي لانور فوقه ومنه ينزل النور الى غيره (حقيقة) بل اقول ولا أبالي ان اسم النور على غير النور الاول مجاز محض اذ كل ما

سواه اذا اعتبرت ذاته فهو في ذاته من حيث ذاته لا نور له بل نوره مستعار من غيره ولا قوام لنورانيته المستعارة بنفسها بل بغيرها ونسبة المستعار منه الى المستعير مجاز محض أفترى ان من استعار ثياباً وفرساً ومركباً وسرجاً وركبه في الوقت الذي اركبه المعير وعلى الحد الذي رسمه له غني بالحقيقة أو بالمجاز او ان المعير هو الغنى كلا بل المستعير هو فقير في نفسه كما كان وانما الغنى هو المعير الذي منه الاعارة والاعطاء واليه الاسترداد والانتزاع فاذاً النور الحق هو الذي بيده الخلق والأمر ومنه الانارة اولاً والادامة ثانيا فلا شركة لاحد معه في حقيقة هذا الاسم ولا في استحقاقه الا من حيث تسميته به ويتفضل عليه بتسميته اياه انفضل المالك على عبده اذا اعطاه مالا ثم سماه مالكا واذا انكشف للعبد هذه الحقيقة علمَ انه وماله ملك لمالكه على التفرد لا شريك له فيه اصلا (حقيقة) مهما عرفت ان النور راجع الى الظهور والاظهار ومراتبه فاعلم أنه لا ظلمة أشد من ظلمة العدم لانه مظلم وسمي مظلما لانه ليس يظهر للابصار اذ ليس يصير موجوداً للبصر مع انه موجود في نفسه فالذي ليس موجوداً لا لغيره ولا لنفسه كيف لا يستحق أن يكون هو الغاية في الظلمة وفي مقابلته الوجود فهو النور فان الشيء ما لم يظهر في ذاته

لا يظهر لغيره والوجود بنفسه أيضاً ينقسم الى ماله الوجود من ذاته والى ما له الوجود من غيره وماله الوجود من غيره فوجوده مستعار لاقوام له بنفسه بل اذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض وانما وجوده من حيث نسبته الى غيره وليس ذلك بوجود حقيقي كما عرفت في مثال استعارة الثوب والغنى فالموجود الحق هو الله تعالى كما ان النور الحق هو الله تعالى « حقيقة الحقائق » من ههنا يترقي العارفون من حضيض المجاز الى ذروة الحقيقة واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العيانية ان ليس في الوجود الا الله وان كل شيء هالك الا وجهه لأنه يصير هالكا في وقت من الاوقات بل هو هالك ازلا وابداً اذ لا يتصور الا كذلك فان كل شيء سواه اذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض واذا اعتبر من الوجه الذي يسري اليه الوجود من الاول الحق رؤي موجوداً لا في ذاته بل من الوجه الذي يلي موجدَه فيكون الموجود وجه الله فقط ولكل شيء وجهان وجه الى نفسه ووجه الى ربه فهو باعتبار وجه نفسه عدم وباعتبار وجه الله وجود فاذاً لا موجود الا الله ووجهه فاذاً كل شيء هالك الا وجهه ازلا وأبداً ولم يفتقر هؤلاء الى قيام القيامة ليستمعوا نداء الباري لمن الملك اليوم لله الواحد القهار

بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبداً ولم يفهموا من معنى قوله الله اكبر انه اكبر من غيره حاش لله اذ ليس في الوجود معه غيره حتى يكون هو اكبر منه بل ليس لغيره رتبة المعية بل رتبة التبعية بل ليس لغيره وجود الا من الوجه الذي يليه فالموجود وجهه فقط ومحال ان يكون اكبر من وجهه بل معناه اكبر من ان يقال له اكبر بمعنى الاضافة والمقايسة واكبر من ان يدرك غيره كنه كبريائه نبيا كان او ملكا بل لا يعرف الله كنه معرفته الا هو اذ كل معروف داخل تحت سلطان العارف واستيلائه وذلك ينافي الجلال والكبرياء وهذا له تحقيق ذكرناه في كتاب المقصد الاسنى في معاني اسماء الله الحسنى (اشارة) العارفون بعد العروج الى سماء الحقيقة اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود الا الواحد الحق لكن منهم من كان له هذه الحالة عرفانا علميا ومنهم من صار له ذلك ذوقاً وحالا وانتفت عنهم الكثرة بالكلية واستغرقوا بالفردانية المحضة واستهوت فيها عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق فيهم متسع لذكر غير الله ولا لذكر انفسهم أيضا فلم يبق عندهم الا الله فسكروا سكراً وقع دونه سلطان عقولهم فقال بعضهم انا الحق وقال الآخر سبحاني ما اعظم شأني وقال الآخر ما في الجبة الا الله وكلام العشاق في حال السكر

يطوى ولا يحكى فلما خفّ عنهم سكرهم وردوا الى سلطان العقل الذي هو ميزان الله فى أرضه عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد بل يشبه الاتحاد مثل قول العاشق فى حال فرط العشق

انا من أهوى ومن اهوى انا   نحن روحان حللنا بدنا

فلا يبعد ان يفجأ الانسان مرآة فينظر فيها ولم ير المرآة قط فيظن ان الصورة التي رآها في المرآة هي صورة المرآة متحدة بها ويرى الخمر في الزجاج فيظن ان الخمرة لون الزجاج فاذا صار ذلك عنده مألوفا ورسخ فيه قدمه استغرقه فقال

رقّ الزجاج وراقت الخمر   وتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح   وكأنما قدح ولا خمر

وفرق بين ان يقال الخمر قدح وبين ان يقال كأنه القدح وهذه الحالة اذا غلبت سميت بالاضافة الى صاحب الحال فناء بل فناء الفناء لانه فنى عن نفسه وفنى عن فنائه فانه ليس يشعر بنفسه في تلك الحال ولا بعدم شعوره بنفسه ولو شعر بعدم شعوره بنفسه لكان قد شعر بنفسه وتسمى هذه الحال بالاضافة الى المستغرق فيها بلسان المجاز اتحاداً وبلسان الحقيقة توحيداً ووراء هذه الحقائق ايضا اسرار لا يجوز الخوض فيها (خاتمة) لعلك تشتهي ان تعرف وجه اضافة

نوره الى السموات والارض بل وجه كونه في ذاته نور السموات والارض ولا ينبغي ان يخفى ذلك عليك بعد ان عرفت انه النور ولا نور سواه وانه كل الانوار وانه النور الكلي لان النور عبارة عما تنكشف به الاشياء واعلا منه ما ينكشف به وله واعلا منه ما ينكشف به وله ومنه وان الحقيقي منه ما ينكشف به وله ومنه وليس فوقه نور منه اقتباسه واستمداده بل ذلك له في ذاته من ذاته لذاته لا من غيره ثم عرفت ان هذا لا يتصور ولن يتصف به الا النور الاول ثم عرفت ان السموات والارض مشحونة نورا من طبيعتي النور أعني المنسوب الى البصر والبصيرة أي الى الحس والعقل أما البصري فما نشاهده في السموات من الكواكب والشمس والقمر وما نشاهده في الارض من الاشعة المنبسطة على كل مافي الارض حتى ظهرت به الالوان المختلفة خصوصاً في الربيع وعلى كل حال من الحيوانات والنباتات والمعادن واصناف الموجودات ولولاها لم يكن للالوان ظهور بل وجود ثم سائر مايظهر للحس من الاشكال والمقادير يدرك تبعاً للالوان ولا يتصور ادراكها الاّ بواسطتها وأما الانوار العقلية المعنوية فالعالم الاعلى مشحون بها وهي جواهر الملائكة والعالم الاسفل مشحون بها وهي الحياة

الحيوانية ثم الانسانية وبالنور الانساني السفلي ظهر نظام العالم السفلي
كما ان بالنور الملكي ظهر نظام العالم العلوي وهو المعني بقوله (وهو الذي
انشأكم من الارض واستعمركم فيها) وقال (ليستخلفنهم في الارض)
وقال (ويجعلكم خلفاء الارض) وقال (اني جاعل في الارض خليفة) فاذا
عرفت هذا عرفت ان العالم باسره مشحون بالانوار الظاهرة
البصرية والباطنة العقلية ثم عرفت ان السفلية فائضة بعضها من
بعض فيضان النور من السراج وان السراج هو الانوار النبوي
القدسي وان الارواح النبوية القدسية مقتبسة من الارواح العلوية
اقتباس السراج من النار وان العلويات بعضها مقتبس من بعض وان
ترتيبها ترتيب مقامات ثم ترتقي جملتها الى نور الانوار ومعدنها ومنبعها
الاول وان ذلك هو الله وحده لا شريك له وان سائر الانوار مستعارة منه
وانما الحقيقي نوره فقط وان الكل من نوره بل هو الكل بل هو هو ولا
هوية لغيره الا بالمجاز فاذا لا نور الا هو وسائر الانوار انوار من الوجه
الذي تليه لا من ذاتها فوجه كل موجه اليه ومول شطره واينما تولوا
فثم وجه الله فاذاً لا اله الا هو فان الاله عبارة عما الوجوه مولية
نحوه بالعبادة والتأليه اعني وجوه القلوب فانها الانوار والارواح
بل كما لا اله الا هو فلا هو الا هو فان هو عبارة عما اليه الاشارة

وكيفما كان فلا اشارة الا اليه بل كلما اشرت فهو بالحقيقة الاشارة
اليه وان كنت لا تعرفه انت لغفلتك عن حقيقة الحقائق التي ذكرناها
ولا اشارة الى نور الشمس بل الى الشمس فكل ما في الوجود
فنسبته اليه في ظاهر المثال كنسبة النور الى الشمس. فاذن
لا اله الا الله توحيد العوام ولا هو الا هو توحيد الخواص لان ذلك
اعم وهذا اخص واشمل واحق وادق وأدخل بصاحبه في الفردانية
المحضة والوحدانية الصرفة ومنتهى معراج الخلائق مملكة الفردانية
فليس وراء ذلك مرقاة اذ الرقي لا يتصور الا بكثرة فانه نوع اضافة
يستدعي ما منه الارتقاء وما اليه الارتقا واذا ارتفعت الكثرة حقت
الوحدة وبطلت الاضافة وطاحت الاشارة فلم يبق علو ولا سفل ولا
نازل ولا مرتفع فاستحال الترقي واستحال العروج فليس وراء الاعلى
علو ولا مع الوحدة كثرة ولا مع انتفاء الكثرة عروج فان كان ثم
تغير من حال فبالنزول الى السماء الدنيا أعني بالاشراق من علو الى أسفل
لان الاعلى وان لم يكن له اعلى فله اسفل فهذا غاية الغايات ومنتهى
الطلبات يعلمه من يعلمه وينكره من يجهله وهو من العلم الذي هو
كنهه المكنون الذي لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره
الا اهل الغرة بالله ولا يبعد ان قال العلما ان النزول الى سماء الدنيا

هو نزول ملك فقد توهم بعض العارفين ما هو ابعد منه اذ قال هذا المستغرق بالفردانية له نزول الى سماء الدنيا وان ذلك هو نزوله الى استعمال الحواس او تحريك الاعضاء واليه الاشارة بقوله عليه السلام صرت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به واذا كان هو سمعه وبصره ولسانه فهو السامع والباصر والناطق اذاً لا غيره واليه الاشارة بقوله لموسى عليه السلام مرضت فلم تعدني الحديث فحركات هذا الموحد من السماء الدنيا واحساساته من سماء فوقها وعقله فوق ذلك وهو يترقى من سماء العقل الى منتهي معراج الخلائق ومملكة الفردانية الى سبع طبقات ثم بعده يستوي على عرش الوحدانية ومنه يدبر الامر الى طبقات سمواته فربما نظر الناظر اليه فاطلق القول بان الله خلق آدم على صورة الرحمن الى ان يمعن النظر فيه فيعلم ان ذلك له تأويل كقوله انا الحق وسبحاني بل كقوله عليه السلام مرضت فلم تعدني وكنت سمعه وبصره ولسانه فارى الآن امساك عنان البيان فما اراك تطيق من هذا الفن اكثر من هذا المقدار (مساعدة) لعلك لا تسمو الى هذا الكلام بهمتك بل تقصر دون ذروته همتك فخذ اليك كلاماً أقرب الى فهمك واقرب لضعفك واعلم ان معنى كونه

نور السموات والارض تعرفه بالنسبة الى النور الظاهري البصري فاذا رأيت الوان الربيع وخضرتها مثلا في ضياء النهار فلست تشك في انك ترى الالوان وربما ظننت انك لست ترى مع الالوان غيرها فكانك تقول لست أرى مع الخضرة غيرها ولقد اصر على هذا أقوام فزعموا ان النور لا معنى له وانه ليس مع الالوان غير الالوان فانكروا وجود النور مع انه اظهر الاشياء وكيف لا وبه تظهر الاشياء وهو الذي يبصر في نفسه ويبصر به غيره كما سبق لكن عند غروب الشمس وغيبة السراج ووقوع الظل ادركوا تفرقة ضرورية بين محل الظل وبين موقع الضياء فاعترفوا بان النور معنى وراء الالوان يدرك مع الالوان حتى كأنه لشدة اتحاده بها لا يدرك ولشدة ظهوره يختفى وقد تكون شدته سبب الخفاء والشيء اذا جاوز حده انعكس على ضده فاذا عرفت هذا فاعلم ان ارباب البصائر ما رأوا شيئاً الا ورأوا الله معه وربما زاد على هذا بعضهم فقال ما رأيت شيئاً الا رأيت الله قبله لان منهم من يرى الاشياء به ومنهم من يرى الاشياء فيراه بالأشياء والى الأول الاشارة بقوله (أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) والى الثاني الاشارة بقوله (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم) فالاول صاحب

مشاهدة والثاني صاحب استدلال بآياته والاولى درجة الصديقين والثاني درجة العلماء الراسخين وليس بعدهما الا درجة الغافلين المحجوبين فاذا عرفت هذا فاعلم انه كما ظهر كل شيء للبصر بالنور الظاهر فقد ظهر كل شيء للبصيرة الباطنة بالله فهو مع كل شيء لا يفارقه وبه يظهر كل شيء ولكن بقي هاهنا تفاوت وهو ان النور الظاهر يتصور ان يغيب بغروب الشمس ويحجب حتى يظهر الظل وأما النور الالهي الذي به يظهر كل شيء لا يتصور غيبته بل يستحيل غروبه فيبقى مع الاشياء كلها دائماً فانقطع طريق الاستدلال بالتفرقة ولو تصورت غيبته لانهدمت السموات والارض ولأدرك به من التفرقة ما يضطر معه الى المعرفة بما به ظهرت الاشياء ولكن لما تساوت الاشياء كلها على نمط واحد في الشهادة لوحدانية خالقها إذ كل شيء يسبح بحمده لا بعض الاشياء وفي جميع الاوقات لا في بعض الاوقات ارتفع التفريق وخفي الطريق إذ الطريق الظاهر معرفة الاشياء بالاضداد فما لا ضد له ولا نقيض تتشابه الاحوال في الشهادة له فلا يبعد ان يخفى ويكون خفاؤه لشدة جلائه والغفلة عنه لاشراق ضيائه فسبحان من اختفى عن الخلق لشدة ظهوره واحتجب عنهم لاشراق نوره وربما ايضاً لا يفهم هذا الكلام بعض القاصرين

فيفهم من قولنا ان الله مع كل شيء كالنور مع الاشياء انه في كل مكان تعالى وتقدس عن النسبة الى المكان بل الأبعد عن اثارة هذا الخيال ان نقول لك بانه قبل كل شيء وانه فوق كل شيء وانه مظهر كل شيء والمظهر لا يفارق المظهر في معرفة صاحب البصيرة فهذا الذي نعني بقولنا انه مع كل شيء ثم لا يخفى عليك ايضا ان المظهر قبل المظهر وفوقه مع انه معه لكنه معه بوجه وقبله بوجه فلا تظن انه متناقض واعتبر بالمحسوسات التي هي قدر درجتك في العرفان وانظر كيف تكون حركة اليد مع حركة ظل اليد وقبلها ايضاً ومن لم يتسع صدره لمعرفة هذا فليهجر هذا النمط من العلم (فلكل علم رجال ٠ وكل ميسر لما خلق له

(الفصل الثاني) في بيان مثال المشكاة والمصباح والزجاجة والشجرة والزيت والنار وبيان ذلك يستدعي تقديم قطبين يتسع المجال فيهما الى غير حد محدود ولكني اشير اليهما بالرمز والاختصار احدهما في بيان سر التمثيل ومنهاجه ووجه ضبط ارواح المعاني بقوالب الامثلة ووجه كيفية المناسبة بينهما وكنه الموازنة بين عالم الشهادة التي منها يتخذ طينة الامثال وبين عالم الملكوت الذي منه تنزل ارواح المعاني والقطب الثاني في طبقات ارواح الطينة البشرية ومراتب

انوارها فان هـذا المثال مسوق بيان ذلك وقد قرأ ابن مسعود مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة فيها وقرأ أبي بن كعب مثل نور قلب من آمن كمشكاة فيها

— (القطب الاول في بيان سر التمثيل ومنهاجه) — إعلم ان العالم عالمان روحاني وجسماني وان شئت قلت حسى وعقلي وان شئت قلت علوي وسفلي والـكل متقارب وانما يختلف باختلاف العبارات فاذا اعتبرتهما في انفسهما قلت جسماني وروحاني واذا اعتبرتهما بالاضافة الى العين المدركة لهما قلت حسي وعقلي وان اعتبرتهما باضافة احدهما الى الآخر قلت علوي وسفلي وربما سميت احدهما عالم الملك والشهادة والآخر عالم الغيب والملكوت ومن ينظر الى الحقائق من الالفاظ ربما يتحير من كثرتها ويتخيل كثرة المعاني والذي تنكشف له الحقائق يجعل المعاني اصلا والالفاظ تابعة وأمر الضعيف بالعكس منه اذ يطلب الحقائق من الالفاظ والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى (أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدى أمَّن يمشي سوياً على صراط مستقيم) واذ قد عرفت معنى العالمين فاعلم ان العالم الملـكوتي العلوي عالم غيب اذ هو غائبٌ عن الاكثر والعالم الحسي عالم الشهادة اذ يشهده الـكافة والعالم الحسي مرقاة الى العالم

العقلي ولو لم يكن بينهما اتصال ومناسبة لانسد طريق الترقى اليه ولو تعذر ذلك لتعذر السفر الي الحضرة الربوبية والقرب من الله فلن يقرب من الله احد مالم يطأ بحبوحة حظيرة القدس والعالم المرتفع عن إدراك الحس والخيال هو الذي نعنيه بعالم القدس واذا اعتبرت جملته بحيث لايخرج منه شيء ولا يدخل فيه ماهو غريب منه سميناه حظيرة القدس وربما سمينا الروح البشري الذي هو مجرى لوائح القدس الوادي المقدس ثم هذه الحظيرة فيها حظائر بعضها أشد إمعاناً في معاني القدس ولكن لفظ الحظيرة محيط بجميع طبقاتها فلا تظنن ان هذه الالفاظ طامات غير معقولات عند أرباب البصائر واشتغالي الآن بشرح كل لفظ مع ذكره يصدني عن المقصد فعليك بالتشمير لفهم الالفاظ فارجع الى الغرضُ فأقول لما كان عالم الشهادة مرقي الى عالم الملكوت كان سلوك الصراط المستقيم عبارة عن هذا الترقي وقد يعبر عنه بالدين وبمنازل الهدى فلو لم يكن بينهما مناسبةٌ واتصال لما تصور الترقي من احدهما الى الاخر فجعلت الرحمة الالهية عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت فما من شيء في هذا العالم الاّ وهو مثال لشيء من ذلك العالم وربما كان الشيء الواحد مثالا لاشياء من عالم الملكوت وربما كان للشيء الواحد من الملكوت أمثلة

كثيرة من عالم الشهادة وانما يكون مثالا اذا ماثله نوعاً من المماثلة وطابقه نوعاً من المطابقة واحصاء تلك الامثلة يستدعي استقصاء جميع موجودات العالمين باسرها ولن تفي به القدرة البشرية ولم يتسع لفهمه القوة البشرية ولا تفي لشرحه الاعمار القصيرة فغايتي ان عرفك منها انموذجا لتستدل باليسير منها على الكثير وينفتح لك باب الاستبصار بهذا النمط من الاسرار فاقول ان كان في عالم الملكوت جواهر نورانيه شريفة عالية يعبر عنها بالملائكة منها تفيض الانوار على الارواح البشرية ولاجلها قد تسمى ارباباً فيكون الله رب الارباب لذلك ويكون لها مراتب في نورانيتها متفاوتة فبالحري ان يكون مثالها من عالم الشهادة الشمس والقمر والكواكب وسالك الطريق يترقى أولا الى مادرجته درجة الكوكب فيتضح له اشراق نوره وينكشف له ان العالم الاسفل باسره يحب سلطانه ويحب اشراق نوره ويتضح له من جماله وعلو درجته ما ينادي فيقول هذا ربي ثم اذا اتضح له ما فوقه مما رتبته رتبة القمر رأى أفول الاول في مضرب الهوى أي بالاضافة الى مافوقه افولا فقال لا احب الآفلين فكذلك يترقى حتى ينتهي الى ما مثاله الشمس فيراه اكبر واعلى قابلا للمثال بنوع مناسبة له معه والمناسبة مع ذي النقص نقص

واقول ايضاً فنه من يقول وجهت (وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما انا من المشركين) ومعنى الذي اشارة مبهمة لا مناسبة لها اذ لو قال قائل ما مثال مفهوم الذي لم يتصور ان يجاب عنه فالمنزه عن كل مناسبة هو الله الحق ولذلك لما قال بعض الاعراب لرسول الله ما نسبة الله نزل في جوابه (قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد) معناه التقدس عن النسبة ولذلك لما قال فرعون لموسى ومارب العالمين كالطالب لماهيته لم يجبه الا بافعاله اذ كانت الافعال اظهر عند السائل فقال رب السموات والارض فقال فرعون لمن حوله الا تستمعون كالمنكر عليه في عدوله في جوابه عن طلب الحقيقة فقال موسى (ربكم ورب آبائكم الاولين) فنسبه فرعون الى الجنون اذ كان مطلبه المثال والماهية وهو يجيب عن الافعال بالافعال وقال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ولنرجع الآن الى الانموذج فنقول علم التعبير يعرفك مقدار ضرب المثال لان الرؤيا جزء من النبوة اماترى ان الشمس فى الرؤيا تعبيرها السلطان لما بينهما من المشاركة والمماثلة فى معنى روحاني وهو الاستعلاء على الكافة مع فيضان الآثار والانوار على الجميع والقمر تعبيره الوزير لافاضة الشمس نورها بواسطة القمر على العالم عند غيبتها كما يفيض السلطانه

آثاره بواسطة الوزير على من يغيب عن حضرة السلطان وان من يرى ان في يده خاتما يختم به افواه الرجال وفروج النساء فانه يعبر له أنه يؤذن قبل الصبح في رمضان ومن رآي انه يصب الزيت في الزيتون تعبيره ان تحته جارية هي امّهُ وهو لا يعرفها فاستقصاء ابواب التعبير في امثال هذا الجنس غير ممكن فلا يمكني الاشتغال بعدّها بل اقول كما ان في الموجودات العالية الروحانية ما مثاله الشمس والقمر والكواكب كذلك منها ما له امثلة اخرى اذا اعتبرت معها أوصاف اخر سوى النورانية فان كان في تلك الموجودات ما هو ثابت لا يتغير وعظيم لا يستصغر ومنه تتفجر الى اودية القلوب البشرية مياه المعارف ونفائس المكاشفات فمثاله الطور وان كان الموجودات التي تتلقى تلك النفائس بعضها اولى من بعض فمثالها الوادي وان كانت تلك النفائس بعد اتصالها بالقلوب البشرية تجري من قلب الى قلب فهذه القلوب ايضا اودية ومفتتح الوادي قلوب الانبياء والاولياء والعلماء ثم من بعدهم فان كانت هذه الاودية دون الاول ومنها تغترف فبالحري ان يكون الاول هو الوادى الايمن لكثرة يمنه وعلو درجته وان كان الوادى الادون يتلقى من آخر درجات الوادي الايمن فهو يغترف من شاطئ الوادي الايمن دونه

لجته وميدانه وان كان روح النبي سراجا منيرا وكان ذلك الروح مقتبسا بواسطة وحي كما قال (اوحينا اليك روحاً من امرنا) فما منه الاقتباس مثاله النار وان كان المتلقون من الانبياء بعضهم على محض التقليد لما يسمعه وبعضهم على حظ من البصيرة فمثال المقلد الغير المستبصر الجذوة والقبس والشهاب وصاحب الذوق مشارك للنبي في بعض الاحوال ومثال تلك المشاركة الاصطلاء وانما يصطلى بالنار من معه النار لا من سمع خبرها وان كان اول منزل الانبياء الترقي الى العالم المقدس عن كدورة الحس والخيال فمثال ذلك المنزل الوادي المقدس وان كان لا يمكن وطىء ذلك الوادي المقدس الا باطراح الكونين أعني الدنيا والآخرة والتوجه الى الواحد الحق وكانت الدنيا والآخرة متقابلتين متحاذيتين وهما عارضان للجوهر النوراني البشري يمكن اطراحهما مرة والتلبس بهما أخرى فمثال اطراحهما عند الاحرام والتوجه الى كعبة القدس خلع النعلين بل نترقي الى الحضرة الربوبية مرة أخرى فنقول ان كان في تلك الحضرة شيء بواسطته تنتقش العلوم المفصلة في الجواهر القابلة فمثاله القلم وان كان في تلك الجواهر القابلة للتلقي ما انتقش بالعلوم فمثاله اللوح والكتاب والرق

المنشور وان كان فوق النافش للعلوم شيء هو مسخر له فمثاله اليد وان كان لهذه الحضرة المشتملة على اليد واللوح والقلم والكتاب ترتيب منظوم فمثاله الصورة وان كان يوجد للصورة الانسية ترتيب منظوم على هذه الشاكلة فهي على صورة الرحمن وفرق بين ان يقال على صورة الرحمن وبين ان يقال على صورة الله إذ الرحمة الالهية هي التي على صورة الحضرة الالهية بهذه الصورة ثم أنعم على آدم فاعطاه صورة مختصرة جامعة لجميع اصناف مافي العالم حتى كانه كل مافي العالم او هو نسخة من العالم مختصرة وصورة آدم أعني هذه الصورة مكتوبة بخط الله فهو الخط الالهي الذي ليس برقم حروف إذ يتنزه خطه عن ان يكون رقما وحروفا كما يتنزه كلامه عن ان يكون صوتاً وحروفاً وقلمه عن ان يكون قصباً وحديداً ويده عن ان يكون لحماً وعظما ولولا هذه الرحمة لعجز الآدمي عن معرفة ربه إذ لا يعرف ربه الا من عرف نفسه فلما كان هذا من آثار الرحمة كان علي صورة الرحمن لا على صورة الله فحضرة الالهية غير حضرة الرحمن وغير حضرة الملك وغير حضرة الربوبية ولذلك امر بالعياذ بجميع هذه الحضرات فقال (قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس) ولولا هذا المعنى لكان قوله

ان الله خلق آدم على صورة الرحمن غير منظوم لفظاً بل كان ينبغي ان يقول على صورته واللفظ الوارد في الصحيح على صورة الرحمن ولان تميز حضرة الملك عن حضرة الربوبية يستدعى شرحا طويلا فلنتجاوزه ويكفيك من الانموذج هذا القدر فانه بحر لا ساحل له فان وجدت في نفسك نفوراً عن هذه الامثال فاستأنس بقوله تعالى (انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) لآية فانه قد ورد في التفسير ان الماء هو المعرفة والاودية القلوب (خاتمة واعتذار) لا تظنن من هذا الانموذج وطريق ضرب الامثال رخصة مني في رفع الظواهر واعتقاداً في ابطالها حتى أقول مثلا لم يكن مع موسى نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله اخلع نعليك حاشا لله فان إبطال الظواهر رأي الباطنية الذين نظروا بالعين العوراء الى احد العالمين وجهلوا جهلا بالموازنة بينهما فلم يفهموا وجهه كما ان ابطال الاسرار مذهب الحشوية فالذي يجرد الظاهر حشوي والذي يجرد الباطن باطني والذي يجمع بينهما كامل ولذلك قال عليه السلام (للقرآن ظاهر وباطن وحد ومطلع) وربما نقل هذا عن على موقوفاً عليه بل اقول موسى فهم من الامر بخلع النعلين اطراح الكونين فامتثل الامر ظاهراً بخلع نعليه وباطناً بخلع العالمين فهذا هو الاعتبار أي

العبور من شيء الى غيره ومن ظاهر الى سر وفرقٌ بين من يسمع قول رسول الله (صلعم) لاتدخل الملائكة بيتاً فيه كلب او صورة فيقتني الكلب في البيت ويقول ليس الظاهر مراداً بل المراد تخلية بيت القلب عن كلب الغضب لانه يمنع المعرفة التي هي من انوار الملائكة إذ الغضب غول العقل وبين من يمتثل الامر بالظاهر ثم يقول ليس الكلب بصورته بل بمعناه وهو السبعية والضراوة واذا كان حفظ البيت الذي هو مقر الشخص والبدن واجباً عليه ان يحفظ عن صورة الكلبية فلأن يجب حفظ بيت القلب وهو مقر الجوهر الحقيقي الخاص عن سر الكلبية كان اولى فان من يجمع بين الظاهر والباطن جميعاً فهذا هو الكامل وهو المعني بقولهم الكامل من لايطفيء نور معرفته نور ورعه وكذلك ترى الكامل لايسمح لنفسه بترك حد من حدود الشرع مع كمال البصيرة فهذه مغلطة منها ماوقع لبعض السالكين في إباحة طي بساط الاحكام ظاهراً حتى ربما ترك احدهم الصلاة وزعم انه دائماً في الصلاة بسره وهذا أشد مغلطة الحمقاء من الاباحية الذين تأخذهم ترهات كقول بعضهم ان الله غني عن عملنا وقول بعضهم ان الباطن مشحون بالخبائث ليس يمكن تزكيته

منها ولا مطمع في استئصال الغضب والشهوة لظنه انه مأمور باستئصالها فهذه حماقات واما ماذكرناه فهو كبوة جواد وهفوة سالك صده الشيطان فدلاه بحبال الغرور وارجع الى حديث النعلين فاقول ظاهر خلع النعلين منبه على ترك الكونين فالمثال في الظاهر حقٌ وإدؤه الى السر الباطن حقيقة ولكل حق حقيقة واهل هذه الرتبة هم الذين بلغوا درجة الزجاجة كما سيأتي معنى الزجاجة لان الخيال الذي من طينته يتخذ المثال صلب كثيف يحجب الاسرار ويحول بينك وبين الانوار ولكن اذا صفا صار كالزجاج الصافي وصار غير حائل عن الانوار بل صار مع ذلك مؤدياً للانوار بل صار مع ذلك حافظاً للانوار عن الانطفاء بعواصف الرياح فستأتيك قصة الزجاجة فاعلم ان العالم الكثيف الخيالي السفلي صار في حق الانبياء عليهم السلام زجاجة ومشكاة للانوار ومصفاة للاسرار ومرقاة الى العالم الاعلى وبهذا يعرف ان امثال الظاهر حق ووراء هذا سر وقس عليه الضوء والنهار وغيره (دقيقة) اذا قال عليه السلام رأيت عبد الرحمن بن عوف دخل الجنة حبوا فلا تظن انه لم يشاهده بالبصر كذلك بل رآه في يقظته كما يراه النائم في نومه وان كان عبد الرحمن بن عوف نائما في البيت بشخصه

فان النوم انما أثر في امثال هذه المشاهدات لقهره سلطان الحواس عن النور الباطن الالهي فان الحواس شاغلة وجاذبة الى عالم الحس وصارفة وجهه عن عالم الغيب والملكوت وبعض الانوار النبوية قد تصفى وتستولي بحيث لا تجذبه الحواس الى عالمها ولا تشغله فيشاهد في اليقظة مايشاهد غيره في المنام لكنه اذا كان في غاية الكمال لم يقتصر ادراكه على محض الصورة المبصرة بل عبر منها الى السر فانكشف له ان الايمان جاذب الى العالم الاعلى الذي يعبر عنه بالجنة والغنى والثروة جاذبة الى الحياة الحاضرة وهي العالم الاسفل فاذا كان الجاذب الى اشغال الدنيا أقوى مقاومة من الجاذب الآخر صد عن السير الى الجنة فان كان جاذب الايمان أقوى أورث عسراً أو بطأً في سيره فيكون مثاله من عالم الشهادة الحبو فكذلك تتجلى الاسرار من وراء زجاجات الخيال وذلك لا يقصر في حكمه على عبد الرحمن وان كان ابصاره مقصوراً عليه بل يحكم به عن كل من قويت بصيرته واستحكم ايمانه وكثرت ثروته كثرة تزاحم الايمان لكن لا تقاومه لرجحان قوة الايمان فهذا يعرفك كيفية ابصار الانبياء الصور وكيفية مشاهدتهم المعاني من وراء الصور والاغلب ان يكون المعنى سابقاً الى المشاهدة الباطنية ثم يشرف منه على

الروح الخيالي فينطبع بصورة موازية للمعنى محاكية له وهذا الحظ من الوحي في اليقظة يحتاج الى التأويل كما انه في النوم يفتقر الى التعبير والواقع منه في النوم نسبته الى الخواص النبوية نسبة الواحد الى ستة واربعين والواقع منه في اليقظة نسبته أعظم من ذلك وأظن ان نسبته نسبة الواحد الى الثلاثة فان الذي انكشف لنا ان الخواص النبوية تنحصر شعبها في ثلاثة اجناس وهذا واحد من تلك الاجناس الثلاثة

(القطب الثاني في بيان مراتب الارواح البشرية النورانية إذ بمعرفتها تعرف أمثلة القرآن) فالاول منها الروح الحساس وهو الذي يتلقى ماتورده الحواس اذ كان أصل الروح الحيواني واوله وبه يصير الحيوان حيواناً وهو موجود للصبي الرضيع . الثاني الروح الخيالي وهو الذي يكتب ما أوردته الحواس ويحفظه مخزوناً عنده ليعرضه على الروح العقلي فوقه عند الحاجة اليه وهذا لا يوجد للصبي الرضيع في بداية نشوئه ولذلك يولع بالشيء ليأخذه فاذا غيب عنه ينساه ولا تنازعه نفسه اليه الى ان يكبر قليلا بحيث اذا غيب عنه بكى وطلب ذلك لبقاء صورته محفوظة في خياله وهذا قد يوجد لبعض الحيوانات دون بعض ولا يوجد للفراش المتهافت على النار لانه

يقصد النار لشغفه بضياء النهار فيظن ان السراج كوة منفتوحة الى موضع الضياء فيلقي نفسه عليه فيتأذى به لكنه اذا جاوزه وحصل في الظلمة عاوده مرة أخرى بعد مرة ولو كان له الروح الحافظ المستثبت لما أداه الحس اليه من الالم لما عاوده بعد ان تضرر به مرة فالكلب اذا ضرب مرة بخشبة فاذا رأى الخشبة بعد ذلك هرب الثالث الروح العقلي الذي يدرك المعاني الخارجة عن الحس والخيال وهو الجوهر الانسي الخاص ولا يوجد للبهائم ولا الصبيان ومدركاته المعارف الضرورية الكلية كما ذكرناه عند ترجيح نور العقل على نور العين الرابع الروح الفكري وهو الذي يأخذ العلوم العقلية المحضة فيوقع بينها تأليفات وازدواجات ويستنتج منها معارف نفيسة ثم اذا استفاد نتيجتين مثلا ألّف بينهما مرة أخرى واستفاد نتيجة مرة أخرى ولا تزال تتزايد كذلك الى غير نهاية الخامس الروح القدسي النبوي الذي به يختص الانبياء وبعض الاولياء وفيه تتجلى لوائح الغيب واحكام الآخرة وجملة من معارف ملكوت السموات والارض بل من المعارف الربانية التي تقصر دونها الروح العقلي والفكري واليه الاشارة بقوله تعالى (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان

ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم) ولا يبعد ايها المعتكف في عالم العقل ان يكون وراء العقل طور آخر يظهر فيه ما لا يظهر في العقل كما لم يبعد كون العقل طوراً وراء التميز والاحساس ينكشف فيه غرائب وعجائب يقصر عنها الاحساس والتميز فلا تجعل أقصى الكمال وقفاً على نفسك وان اردت مثالا مما تشاهده من جملة خواص بعض البشر فانظر الى ذوق الشعر كيف يختص به قوم من الناس وهو نوع ادراك ويحرم منه بعضهم حتى لا تتميز عندهم الالحان الموزونة من المزحفة وانظر كيف عظمت قوة الذوق في آخرين حتى استخرجوا منها الموسيقى والاغاني وصنوف الدستانات التي منها المحزن ومنها المطرب ومنها المنوم ومنها المبكي ومنها المجنن ومنها القاتل ومنها الموجب للغشى وانما تقوى هذه الآثار فيمن له اصل الذوق وأما العاطل عن خاصية الذوق فانه يشارك في سماع الصوت وتضعف فيه هذه الآثار وهو يتعجب من صاحب الوجد والغشى ولو اجتمع العقلاء كلهم من أرباب الذوق على تفهيمه معنى الذوق لم يقدروا عليه فهذا مثال في أمر خسيس لانه قريب الى فهمك فقس به الذوق الخاص النبوي واجتهد في أن تصير من أهل الذوق بشيء

من تلك الروح فان للاولياء منه حظاً وافراً فان لم تقدر فاجتهد أن تصير بالاقيسة التي ذكرناها والتشبيهات التي رمزنا اليها من اهل العلم بها فان لم تقدر فلا أقل من أن تكون من أهل الايمان بها (ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) والعلم فوق الايمان والذوق فوق العلم والذوق وجدان والعلم قياس والايمان قبول مجرد بالتقليد وحسن الظن باهل الوجدان أو بأهل العرفان واذا عرفت هذه الارواح الخمسة فاعلم انها بجملتها أنوار اذ بها تظهر أصناف الموجودات والحسي والخيالي منها وان كان يشارك البهائم في جنسها لكن الذي للانسان منهما نمط آخر أشرف واعلى وخلقا في الانسان لغرض آخر اجل واسنى واما الحيوانات فلم يخلقا لها الا ليكونا آلتها في طلب غذائها وتسخيرها للآدميين وانما خلقا للآدمي ليكونا شبكة له يقتنص بهما في جهة العالم الاسفل مبادي المعارف الدينية الشريفة اذ الانسان اذا ادرك بالحس شخصاً معيناً اقتبس من عقله معنى عاماً مطلقاً كما ذكرنا في مثال عبد الرحمن بن عوف فاذا عرفت هذه الارواح الخمسة فلنرجع الى غرض الأمثلة (بيان امثلة هذه الآية) اعلم ان القول في موازنة هذه الارواح الخمسة للمشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت

يمكن تطويله لكني اوجز واقتصر على التنبيه على طريقه فأقول اما الروح الحاس فاذا نظرت الى خاصيته وجدت انواره خارجة من ثقب عدة كالعينين والاذنين والمنخرين وغيرهما فاوفق مثال له في عالم الشهادة المشكاة واما الروح الخيالي فتجد له خواص ثلاثة احداها انه من طينة العالم السفلي الكثيف لان الشيء المتخيل ذو مقدار وشكل وجهات محصورة مخصوصة وهو على نسبة من المتخيل من قرب او من بعد ومن شأن الكثيف الموصوف باوصاف الاجسام ان يحجب عن الانوار العقلية المحضة التي تتنزه عن الوصف بالجهات والمقادير والقرب والبعد (الثانية) ان هذا الخيال الكثيف اذا صفي ورقق وهُذّب وضبط صار موازياً للمعاني العقلية محاذياً لها وغير حائل عن اشراق نور منها (الثالثة) ان الخيال في بداية امره محتاج اليه جداً لتنضبط له المعارف العقلية فلا تضطرب ولا تتزلزل ولا تنتشر انتشاراً يخرج عن الضبط اذ تجمع المثالات الخيالية للمعارف العقلية وهذه الخواص الثلاثة لا تجدها في عالم الشهادة بالاضافة الى الانوار المبصرة الا الزجاجة فانها في الاصل من جوهر كثيف لكن صفي ورقق حتى صار لا يحجب نور المصباح بل يؤديه على وجهه ثم يحفظه عن الانطفاء بالرياح العاصفة والحركات

العنينة فهي اولى مثال به وأما الثالث وهو الروح العقلي الذي
فيه ادراك المعاني الشريفة الالهية فلا يخفى عليك وجه تمثيلها وقد
عرفت هذا مما سبق من بيان معنى كون الانبياء سراجاً منيرا
واما الرابع وهو الروح الفكري فمن خاصيته انه يبتدي من اصل
واحد ثم يتشعب شعبتين ثم كل شعبة شعبتين وهكذا الى ان تكثر
الشعب بالتقسيمات العقلية ثم يفضى بالآخرة الى نتائج تعود فتصير
بذوراً لامثالها اذ يمكن ايضاً تلقيح بعضها بالبعض فيكون مثاله
من هذا العالم الشجرة واذا كانت ثمراتها مادة لتضاعف المعارف
وثباتها وبقائها فبالحري ان لا تمثل بشجرة السفرجل والتفاح
والرمان وغيرها من جملة سائر الاشجار الا بالزيتونة خاصة لان
لب ثمرتها هو الزيت الذي هو مادة المصابيح ويختص من بين
سائر الادهان بخاصية زيادة الاشراق واذا كانت الشجرة التي
تكثر ثمرتها تسمى مباركة فالتي لا تتناهي ثمرتها الى حد محدود
اولى ان تسمى شجرة مباركة واذا كانت شعب الافكار العقلية المحضة
خارجة عن قبول الاضافة لى الجهات والقرب والبعد فبالحري ان
لا تكون شرقية ولا غربية واما الخامس وهو الروح القدسي النبوي
والمنسوب الى الاولياء اذا كان في غاية الاشراق والصفاء وكانت الروح

المفكرة منقسمة الى ما يحتاج الى تعليم وتنبيه ومدد من خارج حتى يستمر
في أنواع المعارف وبعضها يكون في شدة الصفاء كأنه تنبه من نفسه بغير
مدد من خارج فبالحري ان يعبر عن الصافي القوي الاستعداد بانه يكاد
زيته يضيء ولو لم تمسسه نار اذ في الاولياء من يكاد يشرق نوره
حتى يكاد يستغنى عن مدد الانبياء وفي الانبياء من يكاد يستغنى
عن مدد الملائكة فهذا المثال موافق لهذا القسم واذا كانت هذه
الانوار مرتبة بعضها على بعض فالحسي هو الاول وهو كالتوطئة
والتمهيد للخيالي اذ لا يتصور الخيالي الا موضوعاً بعده والفكرى
والعقلى يكونان بعدهما فبالحري ان تكون الزجاجة كالمحل للمصباح
والمشكاة كالمحل للزجاجة فيكون المصباح في زجاجة والزجاجة في
مشكاة واذا كانت هذه كلها انوار بعضها فوق بعض فبالحري
ان تكون نوراً على نور فافهم والله الموفق (خاتمة) هذا مثال انما
يصلح لقلوب المؤمنين او لقلوب الانبياء والاولياء لا لقلوب
الكفار فان النور يراد للهداية فالمصروف عن طريق الهدى
باطل وظلمة بل اشد من الظلمة لان الظلمة لا تهدى الى باطل كما
لا تهدى الى حق وعقول الكفار انتكست وكذلك سائر ادراكاتهم
وتعاونت على الضلال في حقهم فمثالهم كرجل في بحر لجي يغشاه

موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض
والبحر اللجي هو الدنيا بما فيها من الاخطار المهلكة والحوادث
الرديئة والمكدرات المعمية والموج الاول موج الشهوات
الباعثة الى الصفات البهيمية والاشتغال باللذات الحسية وقضاء
الاوطار الدنيوية حتى انهم يأكلون ويتمتعون كما تأكل الانعام والنار
مثوى لهم فبالحري ان يكون هذا الموج مظلما لان حب الشيء
يعمي ويصم والموج الثاني موج الصفات السبعية الباعثة على الغضب
والعداوة والبغضاء والحقد والحسد والمباهاة والتفاخر والتكاثر
وبالحري ان يكون مظلما لان الغضب غول العقل وبالحري ان
يكون هو الموج الاعلى لان الغضب في الاكثر مستول على
الشهوات حتي اذا ماج اذهل عن الشهوات واغفل عن اللذات
فان الشهوة لا تقاوم الغضب الهائج أصلا وأما السحاب فهو
الاعتقادات الخبيثة والظنون الكاذبة والخيالات الفاسدة التى
صارت حجباً بين الكافر وبين الايمان ومعرفة الحق والاستضاءة
بنور شمس القرآن والعقل فان خاصية السحاب ان يحجب اشراق
نور الشمس واذا كانت هذه كلها مظلمة فبالحري ان تكون ظلمات
بعضها فوق بعض واذا كانت هذه الظلمات تحجب عن معرفة

الاشياء القريبة فضلا عن البعيدة فلذلك تحجب الكفار عن معرفة
عجائب احوال النبي (صلعم) مع قرب متناوله وظهوره بادنى تأمل
فبالحري ان يعبر عنه بانه اذا اخرج يده لم يكد يراها واذا كان منبع
الانوار كلها من النور الاول الحق كما سبق فبالحري ان يعتقد كل
موحد ان من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ويكفيك هذا القدر
من اسرار هذه الآية فاقنع

« الفصل الثالث » في معني قوله صلى الله عليه وسلم ان لله
سبعين حجاباً من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه
كل من ادركه بصره . في بعض الروايات سبعمائة وفي بعضها سبعين
الفاً فاقول ان الله تعالى متجل في ذاته بذاته لذاته ويكون الحجاب
بالاضافة الى محجوب لامحالة وان المحجوبين من الخلق ثلاثة اقسام
منهم من يحتجب بمجرد الظلمة ومنهم من يحتجب بالنور المحض
ومنهم من يحتجب بنور مقرون بظلمة واصناف هذه الاقسام كثيرة
تتحقق كثرتها ويمكنني ان اتكلف حصرها لكني لا اثق بما يلوح
من تحديد وحصر اذ لايدري اهو المراد في الحديث ام لا اما
الحصر الى سبعمائة او سبعين الفاً فذلك لا تستقل به الا القوة النبوية
مع ان ظاهر ظني ان هذه الاعداد مذكورة لا للتحديد وقد تجري

العادة بذكر اعداد ولا يراد بها الحصر بل التكثير والله اعلم بحقيقة ذلك فهو خارج عن الوسع وانما الذي يمكنني الآن ان اعرفك هذه الاقسام وبعض اصناف كل قسم فاقول القسم الاول هم المحجوبون بمحض الظلمة وهم الملحدة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وهم الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة لانهم لا يؤمنون بالآخرة اصلاً وهم اصناف صنف تشوق الى طلب سبب لهذا العالم فاحاله الطبع والطبع صفة مركوزة في الاجسام حالة فيها وهي مظلمة اذ ليس لها معرفة وادراك ولا خبر لها من نفسها ولا تصور لها وليس لها نور يدرك بالبصر الظاهر ايضاً . الصنف الثاني هم الذين شغلوا بانفسهم ولم يتفرغوا لطالب السبب بل عاشوا عيشة البهائم فكان حجابهم انفسهم المركوزة وشهواتهم المظلمة فلا ظلمة اشد من الهوى والنفس ولذلك قال تعالى « افرأيت من اتخذ الهه هواه » وقال النبي « صلعم » الهوى ابغض اله عُبِدَ الى الله وهؤلاء ينقسمون فرقاً ففرقة زعمت ان غاية المطلب من الدنيا هي قضاء الاوطار ونيل الشهوات وادراك اللذات البهيمية من منكح ومطعم ومشرب وملبس فهولاء عبيد اللذة يعبدونها ويطلبونها ويعتقدون ان نيلها غاية السعادة رضوا لانفسهم بان يكونوا بمنزلة البهائم بل

وهذا مذهب الاعراب وبعض الاكراد وكثير من الحمقى وهم محجوبون بظلمة الصفات السبعية لغلبتها عليهم وكون ادراك مقصودهم اعظم اللذات وهؤلاء قنعوا بان يكونوا بمنزلة السباع بل أخس منها وفرقة ثالثة زعموا ان غاية السعادة كثرة المال واتساع اليسار لان المال هو آلة قضاء الشهوات كلها وبها يحصل للانسان الاقتدار على قضاء الاوطار فهؤلاء همتهم جمع المال والاستكثار منه واستكثار الضياع والعقار والخيل المسوّمة والانعام والحرث فكنزوا الدنانير تحت الارض فترى الواحد يجتهد طول عمره يرتكب الاخطار في البراري والقفار ويتجشم مشاق الاسفار في البحار ويجمع الاموال ويشح بها على نفسه فضلاً عن غيره وهم المرادون بقوله عليه السلام تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم واي ظلم اعظم مما يلبس على الانسان ان الذهب والفضة حجران لا يرادان لاعيانهما وهما اذا لم تقض بهما الاوطار ولم ينفقا على المهمات فهما كالحصباء بمثابة واحدة وفرقة رابعة ترقت من جهالة هؤلاء وتعالت وزعمت ان أعظم السعادات اتساع الجاه والصيت وانتشار الذكر وكثرة الاتباع ونفوذ الامر المطاع فترى هؤلاء الى المرآة ينظرون حتى ان الواحد قد يجوع في بيته ويتحمل الضر ويصرف ماله الى ثياب يتجمل بها عند خروجه

كيلا ينظر الناس اليه بعين الحقارة وهؤلاء الاصناف لا يحصون
وكلهم محجوبون عن الله بمحض الظلمة وهي نفوسهم المظلمة ولا معنى
لذكر آحاد الفرق بعد وقوع التنبيه على الأجناس ويدخل في جملة
هؤلاء جماعة يقولون بلسانهم لا إله الا الله ولكن ربما حمله على ذلك
خوف أو استظهار بالمسلمين اوتجمل بهم أو استمداد من مالهم أو
لاجل التعصب لنصرة مذهب الآباء وهؤلاء اذا لم تحملهم هذه
الكلمة على العمل الصالح فلا تخرجهم من الظلمات الى النور بل
أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات فاما من أثرت
فيه الكلمة بحيث ساءته سيئاته وسرته حسناته فهو خارج عن
محض الظلمة وان كان كثير المعصية (القسم الثاني طائفة حجبوا
بنور مقرون بظلمة وهم ثلاثة أصناف صنف منشأ ظلمتهم من
الحس وصنف منشأ ظلمتهم من الخيال وصنف منشأ ظلمتهم من
مقايسات عقلية فاسدة الصنف الاول المحجوبون بالظلمة الحسية
وهم طوائف لا يخلو واحد منهم عن مجاوزة الالتفات الى نفسه وعن
التأله والتشوق الى معرفة ربه وأول درجاتهم عبدة الأوثان وآخرهم
الثنوية وبينهما درجات الطائفة الاولى عبدة الأوثان علموا في
الجملة ان لهم رباً يلزمهم ايثاره على نفوسهم المظلمة واعتقدوا ان

ربهم أعز من كل شيء وأنفس من كل نفيس ولكن حجبتهم ظلمة
الحس عن ان يتجاوزوا العالم المحسوس فاتخذوا من أنفس الجواهر
كالذهب والفضه والياقوت اشخاصاً مصورة بأحسن الصور
واتخذوها آلهة فهؤلاء محجوبون بنور العزة والجمال من صفات
الله وأنواره ولكنهم الصقوها بالاجسام المحسوسة وسدهم عن ذلك
النور ظلمة الحس فان الحس ظلمة بالاضافة الى العالم الروحاني كما
سبق (الطائفة الثانية) جماعة من أقاصي الترك ليس لهم ملة ولا
شريعة يعتقدون ان لهم رباً وانه أجمل الاشياء واذا رأوا انساناً في
غاية الجمال أو شجراً أو فرساً أو غير ذلك سجدوا له وقالوا انه ربنا
وهؤلاء محجوبون بنور الجمال مع ظلمة الحس وهم أدخل في
ملاحظة النور من عبدة الاوثان لانهم يعبدون الجمال المطلق دون
الشخص الخاص ولا يخصصونه بشخص دون شخص ثم يعبدون
الجمال المطبوع لا المصنوع من جهتهم وبأيديهم (الطائفة الثالثة) قالوا
ينبغي ان يكون ربنا نورانياً في ذاته بهياً في صورته ذا سلطان في
نفسه مهيباً في حضرته لا يطاق القرب منه ولكن ينبغي ان يكون
محسوساً اذ لا معنى لغير المحسوس عندهم ثم وجدوا النار بهذه الصفة
فعبدوها واتخذوها رباً فهؤلاء محجوبون بنور السلطنة والبهاء وكل

ذلك من أنوار الله تعالى الطبقة الرابعة زعموا ان النار نستولى نحن عليها بالاشتعال والاطفاء فهي تحت تصرفنا فلا تصلح للالهية بل مايكون بتلك الصفة أعني السلطنة والبهاء ثم نكون نحن تحت تصرفه ويكون مع ذلك موصوفاً بالعلوّ والارتفاع ثم كان المشهور فيما بينهم علم النجوم واضافة التأثيرات اليها فمنهم من عبد الشعرى ومنهم من عبد المشترى الى غير ذلك من الكواكب بحسب ما اعتقدوه في النجوم من كثرة التأثيرات فهؤلاء محجوبون بنور العلوّ والاشراق والاستيلاء وهي من أنوار الله تعالى (الطائفة الخامسة) ساعدت هؤلاء في المأخذ ولكن قالت لاينبغي ان يكون ربنا موسوماً بالصغر والكبر بالاضافة الى الجواهر النورانية بل ينبغي ان يكون أكبرها فعبدوا الشمس اذ قالوا هي أكبر فهؤلاء محجوبون بنور الكبرياء مع بقية الانوار مقروناً بظلمة الحواس (الطائفة السادسة) ترقوا من هؤلاء فقالوا النور كله لاتنفرد به الشمس بل لغيرها أيضاً أنوار ولا ينبغي أن يكون للرب شريك في نورانيته فعبدوا النور المطلق الجامع لجميع الانوار وزعموا أنه رب العالمين والخيرات كلها منسوبة اليه ثم رأوا في العالم شروراً فلم يستحسنوا اضافتها الى ربهم تنزيهاً له عن الشر فجعلوا بينه وبين الظلمة منازعة وأحالوا العالم الى النور والظلمة

وربما سموها (يزدان واهرمن) وهم الثنويه فيكفيك هذا القدر تنبيهاً على هذا الصنف فهم أكثر من ذلك (الصنف الثاني) المحجوبون ببعض الانوار مقروناً بظلمة الخيال وهم الذين جاوزوا الحس وأثبتوا وراء المحسوسات أمراً لكنهم لم يمكنهم مجاوزة الخيال فعبدوا موجوداً قاعداً على العرش وأخسهم رتبة المجسمة ثم أصناف الكرامية بأجمعهم ولا يمكنني شرح مقالاتهم ومذاهبهم فلا فائدة للتكثير ولكن أرفعهم درجة من نفي الجسمية وجميع عوارضها الا الجهة المخصوصة بجهة فوق لأن الذي لاينسب الى الجهات ولا يوصف بانه خارج العالم ولا داخله لم يكن عندهم موجوداً اذ لم يكن متخيلا ولم يدركوا ان أول درجات المعقولات تجاوز النسبة الى الجهات والحيز (الصنف الثالث) المحجوبون بالانوار الالهيه مقرونة بمقايسات عقلية فاسدة مظلمة فعبدوا إلهاً سميعاً بصيراً عالماً قادراً مريداً حياً منزهاً عن الجهات لكنهم فهموا هذه الصفات على حسب مناسبة صفاتهم وربما صرح بعضهم فقال كلامه حروف وأصوات ككلامنا وربما ترقى بعضهم فقال لا بل هو كحديث نفسنا ولا حرف ولا صوت وكذلك اذا طولبوا بحقيقة السمع والبصر والحياة رجعوا الى التشبيه من حيث المعنى وان أنكروها باللفظ اذ لم يدركوا أصلا معاني هذه

الاطلاقات في حق الله تعالى ولذلك قالوا فى ارادته انها حادثة مثل ارادتنا وانه طلب وقصد مثل قصدنا وهذه مذاهب مشهورة فلا حاجة الى تفصيلها وهؤلاء محجوبون بجملة من الانوار مع ظلمة المقايسات العقلية الفاسدة فهؤلاء كلهم أصناف القسم الثاني الذين حجبوا بنور مقرون بظلمة « القسم الثالث » هم المحجوبون بمحض الانوار وهم أصناف ولا يمكن احصاؤهم فأشير الى ثلاثة أصناف منهم الصنف الاول عرفوا معنى الصفات تحقيقاً وأدركوا ان اطلاق اسم الكلام والارادة والقدرة والعلم وغيرها على صفاته ليس مثل اطلاقه على البشر فتحاشوا عن تعريفه بهذه الصفات وعرفوه بالاضافة الى المخلوقات كما عرف موسى في جواب قول فرعون وما رب العالمين فقالوا ان الرب المتقدس عن معاني هذه الصفات محرك السموات ومدبرها (الصنف الثاني) ترقوا عن هؤلاء من حيث ظهر لهم ان في السموات كثرة وان محرك كل سماء خاصة موجود آخر يسمى ملكا وفيهم كثرة وانما نسبتهم الى الانوار الالهية نسبة الكواكب في الانوار المحسوسة ثم لاح لهم ان هذه السموات في ضمن فلك آخر يتحرك الجميع بحركته في اليوم والليلة مرة فالرب هو المحرك للجرم الاقصى المحتوى على الافلاك كلها اذ الكثرة منفية عنه (الصنف الثالث)

ترقوا عن هؤلاء وقالوا ان تحريك الاجسام بطريق المباشرة ينبغي ان يكون خدمة لرب العالمين وعبادة له وطاعة من عبد من عبيده يسمي ملكا نسبته الى الانوار الالهية المحضة نسبة القمر الى الانوار المحسوسة فزعموا ان الرب هو المطاع من جهة هذا المحرك ويكون الرب تعالى وجد محركا للكل بطريق الامر لا بطريق المباشرة ثم في تفهيم ذلك الامر وماهيته غموض يقصر عنه اكثر الافهام ولا يحتمله هذا الكتاب فهؤلاء أصناف كلهم محجوبون بالانوار المحضة وانما الواصلون صنف رابع تجلى لهم أيضاً ان هذا المطاع موصوف بصفة تنافي الوحدانية المحضة والكمال البالغ لسر ليس يحتمل هذا الكتاب كشفه وان نسبة هذا المطاع الى الوجود الحق نسبة الشمس الى النور المحض أو نسبة الجمر الى جوهر النار الصرف فتوجهوا من الذى يحرك السموات ومن الذي أمر بتحريكها فوصلوا الى موجود منزه عن كل ما أدركه بصر الناظرين وبصيرتهم اذ وجدوه منزهاً ومقدساً عن جميع ما وصفناه من قبل ثم هؤلاء انقسموا فمنهم من احترق منه جميع ما ادركه بصره وانمحق وتلاشى ولكن بقي هو ملاحظاً للجمال والقدس وملاحظاً ذاته في جماله الذي ناله بالوصول الى الحضرة الالهية

فانمحقت فيه المبصرات دون المبصر وجاوزهؤلاء طائفة منهم خواص الخواص فاحرقتهم سبحات وجه الاعلى وغشيهم سلطان الجلال وانمحقوا وتلاشوا في ذاتهم ولم يبق لهم لحاظ الى أنفسهم لغنائهم عن أنفسهم ولم يبق الا الواحد الحق وصار معنى قوله كل شيء هالك الا وجهه لهم ذوقاً وحالا وقد أشرنا الى ذلك في الفصل الاول وذكرنا انهم كيف اطلقوا الاتحاد وكيف ظنوه فهذه نهاية الواصلين ومنهم من لم يتدرج في الترقي والعروج عن التفصيل الذى ذكرناه ولم يطل عليه العروج فسبقوا من أول وهلة الى معرفة القدس وتنزيه الربوبية عن كل ما يجب تنزيهه عنه فغلب عليهم اولا ما غلب على الآخرين آخراً وهجم عليهم التجلي دفعة فأحرقت سبحات وجهه جميع ما يمكن ان يدركه بصر حسى او بصيرة عقلية ويشبه ان يكون الاول طريق الخليل والثاني طريق الحبيب صلوات الله وسلامه عليهما والله اعلم باسرار اقدامهما وانوار مقامهما فهذه اشارة الى اصناف المحجوبين ولا يبعد ان يبلغ عددهم اذا فصلت المقامات وتتبع حجب السالكين سبعين الفاً ولكن اذا فتشت لا تجدوا احداً منهم خارجا عن الاقسام التي ذكرناها فانهم اما يحتجبون بصفاتهم البشريه او بالحس او بالخيال او بمقايسة العقل او بالنور المحض كما سبق فهذا ما حضرني في جواب

هذه الاسئلة مع ان السؤال صادفني والفكر منقسم والخاطر متشعب والهم الي غير هذا الفن منصرف ومقترحي عليه ان تسأل لي العفو عما طغي به القلم او زلت به القدم فان خوض غمرة الاسرار الالهية خطير واستكشاف الانوار العلوية من وراء الحجب عسير غير يسير والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا

محمد وآله الطيبين

الطاهرين

تم

﴿ ترجمة ﴾

« الامام حجة الاسلام الغزالي »

اذا كان المرء انما يشرف بذكائه لا بكسائه وبأدبه لا بذهبه وكان الناس ابناء ما يحسنون فالامام حجة الاسلام أبو حامد الغزالي في أول صف من صفوف أهل الشرف والفضل وأصحاب المكانة والنبل

واذا كان العلماء سرج الازمنة كل واحدمنهم مصباح يستضيء به أهل زمانه فذلك الامام من أنور تلك المصابيح وأعظم تلك السرج (ولد هذا الحبر المنطيق والبحر الزاخر العميق باحدى قري طوس من أعمال خراسان في منتصف القرن الخامس . صافي الجوهر نفيس المعدن عالي الهمة فايق الفطرة عميق الفكر بعيد الغور فما بلغ سن التمييز حتي صار يحسن القراءة والكتابة أعني ما يخرج به الانسان عن ان يكون امياً فعني ابوه بتربيته بلبان العلوم الدينية التي كانت مشهورة ومعتبرة لذلك الوقت واخذ ذهنه (المعروف) يتلمس السبيل المؤدية الى المعرفة الحقيقية ويتحسس نور الحق الصريح

درس اطرافاً من الفقه واخذ بدايات العلوم في بدء امره

بطوس على احمد الراذكاني وقدم جرجان واختلف الى الامام ابي نصر الاسماعيلي حتي علق عنه التعليقة ثم رحل الى نيسابور فصادف فيها شيخ وقته محمد الجويني المعروف بامام الحرمين وكان ذلك الامام ممن خف فيهم قيد التقليد ولم يثقل به عقال التقييد وكان له من حرية الفكر بعض نصيب فصار ذلك محركا للفطرة الغزالية وموقداً لتلك النار الطوسيه ـ كمل الغزالي على ذلك الامام ما كان قد اخذ اطرافه على احمد الراذكاني فاتي على جميعها من فقه واصول وخلاف وكلام وغيرها حتى سئمت نفسه تلك التقاليد ونهض لاطلاق نفسه من ذلك الاثر الشديد والبحث عما تنبعث اليه النفس الانسانية من ذاتها ويكون لها فيه سعادتها ولذاتها نظر حواليه فراى اختلاف الخلق في الاديان والملل وتفرقهم في المذاهب والنحل على كثرة الفرق وتعدد الطرق وكل فريق يزعم انه الناجي (وكل حزب بما لديهم فرحون) وليس لدى كل فرقة ما يدعو الى شدة التمسك والحفاظ الا النشأة والوراثة والتقليد اذ راى صبيان النصاري لا يكون لهم نشوء الا علي التنصر وصبيان اليهود لا نشوء لهم الا على التهود وصبيان المسلمين لانشوء لهم الا علي التمسلم وكان قد سمع الحديث المشهور (كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه

وينصرانه ويمجسانه)

امعن النظر في ذلك طويلا وتأمله اجمالا وتفصيلا ثم رجع الى نفسه فراي ان ايثار تقليد علي تقليد خرق وخيال وحمق وضلال فلم يبق الا رتبة النظر والاستقلال ولما عاود الفكرة كرة اخرى وجدأن اعظم العقبات التي كانت في طريق الانبياء والمرسلين هي تقليدالوالدين والاستاذين والجمود علي تراث الغابرين فانكسرت زجاجة تقليده وانحلت عن قلبه عقدة لتقييده وتحرك باطنه الى طلب حقيقة الفطرة الاصليه تلك الفطرة التي يعرفونها في اوائل فن الميزان بانها الحالة التي يكون فيها الانسان مجرداً عن العقائد الوراثية والآراء التلقينية القومية ومنقطعاً عن احكام الوهم التي لم يؤيده فيها عقل صريح وفكر صحيح فعلم على الجزم واليقين بذلك الطريق التى لا يعوذها التنوير والتبيين ان العلم الحقيقي والادراك اليقيني هو الذي ينكشف فيها المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط ولا يتسع القلب لتقدير ذلك بل الامان من الغلط ينبغي ان يكون مقارناً له مقارنة لو تصدى لاظهار بطلانه من يقلب الحجر ذهباً والعصا ثعباناً لم يورث ذلك شكاونكراناً وبذلك وضع ابوحامد بينه وبين الظواهر الملية بالمناقضة للعلم حاجزاً حصيناً فلم تعد تجدالى

ذهنه سبيلا وكان حاله هذا مصداق الحديث المأثور (الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا) ومثله الآية الكريمة (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد)

تلقي ابو حامد على استاذه المشار اليه جميع الفنون الدينية فاتقنها وبرز فيها على اقرانه حتى صار من الاعيان المشار اليهم في زمن استاذه فكان يتمدح به ولم يزل ابو حامد ملازماً له وهو يعد في المقام الاول من مقامات النظار واهل النظر والاعتبار الى ان توفى الاستاذ سنة سبع وسبعين واربعمائة فخرج من نيسابور الى المعسكر (وقد صار ممن يعقد عليه الخناصر) فلقى الوزير نظام الملك فاكرمه وبالغ في الاقبال عليه وكان بحضرة الوزير جماعة من الافاضل فجرت بينه وبينهم عدة مناقشات ظهر فيها عليهم فاعجب به اهل العراق واشتهر اسمه في الآفاق وسارت بذكره الركبان وصار ممن يشار اليهم بالبنان وكان له اخ يدعى احمد ويلقب بجمال الاسلام مع ما لابي حامد من هذه المكانة لا يأتم به في الصلاة على حين كان الالوف من العامة والخاصة تصطف خلفه صفوفاً فشكا الى امه ما يجده من اخيه وانه بذلك يكاد يحدث ريباً فيه لما كان لذلك الاخ من شهرة الصلاح والتقوى وسألها ان تأمره بما يفعله الناس

وتعددت منه الشكاية والالحاف في الطلب فالحت امه عليه المرة
بعد الاخرى في قبول ذلك فقبل على شريطة ان ينفرد عن الصفوف
ورضي الامام بالشرط فلما حضر وقت احدي المكتوبات قصد
الامام المسجد وذهب اخوه في أثره حتى اذا احرم الامام وأحرم
وراءه الناس تبعه جمال الاسلام على بعد وبينما هم في اثناء الصلاة
اذ قطعها جمال الاسلام فكانت هذه البلية اشد من الاولى وحينما
سئل عن السبب اجاب بانه ليس في الامكان اقتداؤه بامام ملء
قلبه الدم مشيرا الى خسة من يتعاطى صناعة علماء الدنيا .. تلك
الصناعة التي معظمها الفرض والتقدير والبعد عن مقصد الشارع
الخبير وتفريع الفروع النادرة واجتناب النظر الى ما يرمي اليه التشريع
من الاسرار واتفق ان أبا حامد كان يفكر اذ كان يصلي فى مسألة
المتحيرة فبغض ذلك اليه تلك الفنون التي امضي شطرا من عمره فيها
وعظم فيه ذلك الفكر الاول فكر الحرية وقوي فيه بعد ان كان
في دور الطفولية فاقبل على مطالعة فن الكلام بدقة تستوقف الفكر
وتدهش الناظر علّه يجد فيها ما يشفي من علته فحصله احسن تحصيل
وصنف فيه ما شاء من التصانيف لكنه صادفه صنعة لا تفي بما
قصد اليه ولا تقرب مما حوم عليه اذ كان مقصودها حفظ عقيدة

العامة وحراستها عن تشويش المبتدعة حراسة اعتقدوا فيها على
مسلمات خصومهم التى اضطرهم الى تسليمها اما التقليد او اجماع
الامة او مجرد القبول من ظواهر الكتاب والسنة فكان اكثر
خوضهم في مؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم وذلك عديم النفع في جانب
من طلب الحقائق المبرهنة فلم يكن الكلام في حقه كافياً ولا لداء
التعطش الى ماء الحقيقة شافياً وليس فيه ما ينجي من ظلمات
الحيرة في اختلافات الخلق بل الحرص على ما أتوا من الرزق
ولذلك اذا خرج بحثهم عن دائرة الرد على المبتدعة الى تقرير حقيقة
والزام من لا يعترف معهم بلوازم مسلماتهم كان كلامهم فيه من
أضعف الكلام واركه ولنأت في ذلك بمثال نظهر منه جلية الحق
خاض المتكلمون في اثبات الوجود للصانع من طريق حدوث
العالم ففي طريق البرهنة على الحدوث والرد على القائلين بالقدم
قرروا ان العالم منقسم الى الجواهر والاعراض وان الاعراض حادثة
بالمشاهدة وما لازم الحادث فهو حادث بالبداهة فما انتهى بيانهم
الى هذا الحد وظنوا انهم ظفروا بالرد حتى فاجأهم الخصم بان
هذا لا يجدي نفعاً ولا يغني من الحق شيئاً فان القضية القائلة ما
لازم الحادث فهو حادث انما تصدق اذا كان الحادث حادثا بالنوع

والشخص أما اذا كان حادثا بالشخص قديما بالنوع فلا تصدق البتة فلما صدمهم الخصم بهذه الصدمة الجبلية تصادمت آراؤهم في الاجابة فقال قوم ان النوع لا تحقق له الا في ضمن اشخاصه فحكمه حكمها فما انتهي هذا الفريق من جوابه حتى صفق الخصم واغرب في الضحك فان النوع وان كان لا تحقق له الا في ضمن اشخاصه فله من الاحكام ما يغاير احكامها فقد نرى الورد يستمر اياماً عديدة واوقات مديدة مع ان الوردة الواحدة لا تكاد تكمل يومها ولان المقصود من قدم النوع ليس الا عدم تناهي الاشخاص وهل يقول عاقل انه يلزم من تناهي البعض تناهي الكل فال الخصم لامرية في ان هذا الرد في آن رده قد ذهل عن عقله واجاب فريق آخر وآخر بمثل هذا او أقوي قليلا مما اذا فصلناه خرجنا عما نحن بصدده الى فن آخر مبسوط في كتبه وعند ذلك كان ذلك الخصم يحتج عليهم بهذه الكلمات الثقيلة (مهما اعترفتم بوجود ازلي قديم كامل فكل هذه البراهين التي اقتموها على استحالة اللاتناهي تذهب في الهواء لان التسلسل انما يستحيل اذا كان بالذات اما بالعرض وتبعاً لقديم أزلي فلا ولان هذا الصانع اذا كان من الكمال بحيث لا يعوزه شيء فتعطله عن الفيض مدة غير متناهية ضرب من

المحال البين بنفسه ولمثل هذه الادلة قال الفخر في قصيدته مشيرا

وكم من جبال قد علت شرفاتها   رجال فماتوا والجبال جبال

وليس المقصود من هذه الكلمات أن نضع من قدر صناعة الكلام بل المقصود ان نبين مرتبة ما اشتملت عليه من الاستدلال ولذلك قال ابن عربي قدس سره ان المتكلمين يطيلون المشاغبة في في اللوازم ولازم المذهب ليس بمذهب فيخترعون امورا ويزعمون انهم يردون على خصم وانما نزاعهم مع أنفسهم) وقال أبو حامد في جواهر القرآن مانصه ومقصود هذا العلم (يعني فن الكلام) حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة ولا يكون مليا بكشف الحقائق انتهى وفي سنة أربع وثمانين وأربعمائة فوض اليه الوزير تدريس المدرسة النظامية فأقبل اليه الطلبة وانثالوا عليه وكان يجلس بدرسه من الاعيان المدرسين في بغداد ثلاثمائة ومن ابناء الامراء أكثر من مائة وصادف ذلك فراغه من فن الكلام وبعد ان صنف فيه عدة تصانيف منها كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وكان قد قرأ في ذلك الفن ماللمتكلمين على الحكماء من الردود والنقود فحركه ذلك لصرف العناية الى مطالعة فنون الحكماء على تعددها وتشعبها اذ علم يقيناً أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا

يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوي أعلمهم فيه ثم يزيد عليه
ويجاوز درجته فيطلع على مالم يطلع عليه صاحب العلم من غورة
وغائلة هنالك يمكن ان يكون ما يدعيه من فساده حقاً اما رد المذهب
قبل فهمه والاطلاع على كنهه كما وقع للمتكلمين فرمى في عماية
ولذلك شمر عن ساق الجد في تحصيل ذلك العلم وأقبل عليه بهمة
قوية وعزيمة شديدة ونشاط متواصل في أوقات فراغه من التصنيف
والتدريس في العلوم الشرعية بالمدرسة النظاميه وابتدأ النظر والدرس
بالرياضيات عملا بما اوجبه الحكماء من استفتاح التعلم والتعليم بها
لتأنس النفس بالبرهان ويتربي فيها ذوقه حتى اذا جاءت الى النظريات
الدقيقة أدركت الحق فيها على يسر ثم ثني بالمنطقيات وثلث بالطبيعيات
والآلهيات وختم بالاخلاقيات والسياسيات وكان لا تفتر له همة في
مذاكرة كل موسوم بهذا الفن معروف به سواء المتبحر فيه والآخذ
بطرف منه ومما يحكى في هذا الباب انه دخل على عمر الخيامي يوماً
وسأله عن المرجح لتعيين نقطة من نقط الفلك للقطبية دون سواها
مع تشابه جميع اجزائه وكان ذلك الحكيم مع تبحره في فنون الحكمة
له ضنة بالتعليم والافادة وكان يأتي بالمقدمات البعيدة في جواب
مايسأل عنه بخلا بالاسراع الى الجواب فطول في الجواب وابتدأ

الكلام بان الحركة من أي مقولة حتى أذن الظهر فقال الغزالي قد
جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقام فخرج وبالجملة
فقد صرف أبو حامد همته لتحصيل ذلك العلم طلباً للوصول الى
اكتناه اسراره والبلوغ الى منتهى اغواره اذ من لم يفهم كيف يمكنه
ان يقبل او يرد فلم يكن الا ثلاث سنين حتى اطلع على كنه مقاصده
وانكشف له منتهى سرائره بيد انها كمنت في اعماق قلبه فلم تبرز
من مكمن الفكر الى عالم الدعوة والذكر اضطره الى ذلك حفظ
المركز والحرص على بقاء الاسم - في ذلك الوقت كان في الناس
حزبان متطرفان احدهما ينكر على الفلاسفة جميع علومهم
حتى ماكان منها بديهي الصحة جلي البرهان والآخر يقبل كل ما
يسمعه عنهم بمجرد التقليد وحسن الظن لا غير فهب بحكم ما انطبع
عليه من بغض الاسترقاق والعبودية والجنوح الى النظر الحر والفكر
المستقبل لمحاربة تلك التطرفات حربا علمية فانكر على الطائفة الاولى
بقوله ان الدين اذا كان ينبغي ان ينصو بانكار كل علم منسوب الى
الحكماء وادعاء غلطهم فيها حتى انكار مثل قولهم في الخسوف
والكسوف وزعم ان ما قالوه على خلاف الشرع كان الدين اذا
مبنياً على الجهل وانكار البرهان القاطع وهذا مما لا يشتبه في فساده

ولقد عظم على الدين جناية من ظن ان الاسلام ينصر بانكار العلوم الرياضية وامثالها من البرهانيات اذ ليس في الشرع تعرض لهذه العلوم ولا في هذه العلوم تعرض للامور الدينية ولان ما ادى اليه البرهان لا يعارض الدين الصحيح اذ الحق لا يضاد الحق واما الطائفة الاخرى فقد رد عليها في قولها لو كان الدين حقاً لما خفي على هؤلاء مع دقة علومهم ورزانة عقولهم قال ابو حامد وكم رأيت ممن ضل عن الحق بهذا القدر ولا مستند له سواه وهذا الرد من وجهين الاول انكار نسبة الجحود الى الحكماء اذ قد اتفق كل مرموق من الاوائل والاواخر علي الايمان بالله واليوم الآخر وانما الخلاف في التفصيل الوجه الثاني انه لايلزم من اصابة شاكلة الحق في موضع اصابته في سائر المواضع ولا يلزم ان يكون الحاذق في صنعة حاذقاً في بقية الصنائع فلا يلزم ان يكون المتقن في الرياضيات مصيباً في الالهيات ولان حاصل ما ذكرتموه يرجع الى التميز الى الفئة الفاضلة بظنكم والانخراط في سلكهم والترفع عن رتبة الجماهير والدهماء والاستنكاف من القناعة باديان الآباء ولعمري ان هذا لهو التقليد بعينه بل اشنع انواعه اذ اية رتبة في عالم الله اخس من رتبة من يظن ان الانتقال من تقليد الى تقليد جمال ولا تتطاع نفسه الى البحث

والاستدلال والبله من العوام بمعزل عن فضيحة هذه المهواه فالبلاهة ادنى الى الخلاص من فطانة بتراء والعمى اقرب الى السلامة من بصيرة حولاء ولبيان ان ما ذكره الحكماء في الالهيات قابل للجدل والمحاجة الف كتابه تهافت الفلاسفة اشعاراً لامثال هؤلاء نقاد الشرع الى قبول كل ما يروي ويسمع وانه لايصح ان تؤخذ المذاهب مسلمة بمجرد سماعها ومن اول وهلة بدون اجراء مناقشة فيها وتحريك للذهن في مجاريها والا فهو معترف في كتابه جواهر القرآن بان كتاب التهافت ليس فيه الا الجدل ولا المقصود منه الا الالزام ولما الف ابو حامد كتابه التهافت اصبح بذلك سلطان الوقت وبعبارة اجلى اضحى امام المتكلمين وشيخ المناضلين عن الاسلام بل عن عموم الاديان ففي هذه الظروف والاوقات اظهر ابن الصباح دعوته واشاع مقالته حتي تبعه خلق كثير فاستظهر بالرجال وتحصن بالقلاع (وواقعته بقلعة الموت مشهوره) فاشتد به ازر الباطنية وتقوى ظهرهم فعم شرهم وتطاير شررهم فورد عليه امر جازم من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم وانضم ذلك الباعث الخارجي الى ما انطوى عليه من الميل الى استكشاف اسرار المذاهب فصار البحث عن ذلك ضربة لازب فابتدأ بطلب كتبهم

وجمع مقالاتهم فلم يكن الا قليل حتى اكتبه كنهها وهتك سترها واستطلع سرها وصنف في الرد عليهم ولم يأل جهداً في ذلك وهنا نرى القاريء متشوقاً الى معرفة بعض الشيء عن هذه الفرقة (الباطنيه لذلك نقول

في أواخر القرن الاول من الهجرة ظهر شخص يدعى بعبد الله بن ميمون القداح اتسع علمه وكثرت معارفه حتى اطلع على جميع مقالات العالم فنزل بالاهواز ودعا الناس الى الامام محمد بن اسماعيل مؤسسا دعوته على ركنين الركن الاول ان للشريعة بواطن خفية وفيها غوامض غير جلية فاتت على الاكثرين وان الدين سر مكتوم لايدركه الامن امتحن الله قلوبهم للتقوى وان الاكثرية جاهلون وله منكرون (الركن الثاني) ان هذه البواطن انما هي عند الأئمة أوصياء صاحب الشرع من بعده فيجب ان تؤخذ عنهم وتتلقى منهم وان الآفة التي نزلت بالامة وفرقت الكلمة وأحدثت الاهواء المضلة انصراف الناس عن أئمة نصبوا لهم وأقيموا حافظين لشرائعهم يؤدونها على حقيقتها ويحفظون معانيها ويعرفون بواطنها وانه لو علمت الامة ما اختص به الائمة من العلم لم يحدث شغب ولا شقاق ولا كان فيها افتراق و نشقاق فلما أظهر دعوته أنكرها

الناس عليه وهموا به ففر الى البصرة ومعه من أصحابه الحسين الاهوازي ولما انتشر ذكره بها طلب فسار الى الشام وأقام بسلمية وبها ولد له ابن سماه أحمد فقام بعد وفاة أبيه بالدعوة وسير الحسين الاهوازي داعية له الى العراق فلقى رجلا يدعى حمدان بن قرمط فاستجاب له وقام بالامر واليه نسبت هذه الفرقة واشتهر مذهبه بالعراق وادعى علم الباطن ثم قام بالبحرين منهم أبو سعيد الجنابي من أهل جنابه وابنه أبو طاهر الحسن بن بهرام وأبو جعفر محمد بن على الشلغماني — فاما ابن الشلغماني فعند ماطلب استتر وفر الى الموصل وبعد ان أقام بها سنتين انحدر الى بغداد وظهر منه انه يدعى الربوبية واتبعه على ذلك جماعة قيل منهم الحسين بن القاسم وزير المقتدر العباسي وابراهيم ابن احمد بن ابي عون وابن عبدوس فقبض عليه ابن مقله واستفتى الخليفة في امره فافتى بقتله فأحرق بالنار وضربت عنق ابن ابي عون اما ابن عبدوس فتبرا منه واما ابو طاهر بن ابي سعيد الجنابي فكان يظهر العبادة والتقشف ويسف الخوص ويأكل من كسبه ويدعو الناس الى الامام من آل البيت فاستجاب له خلق كثير وعظمت دولته ودولة بنيه من بعده حتى اوقعوا بعساكر بغداد واخافوا خلفاء بني العباس وانتشرت دعاتهم

بالاقطار فدخلت جماعات متكاثرة في دعوتهم ومالوا الى قولهم ولما انتهى الناس الى القرن الخامس ظهر الحسن ابن الصباح وهاجر الى بلاد امام وتلقى منه كيفية الدعوة لابناء زمانه ثم عاد ودعا الناس الى تعيين امام صادق وكتب كتاباً بدأه بفصول اربعة يذكر فيها احتياج الناس في المعارف الآلهية الى معلم صادق يجب تعيينه ومعرفة عينه وتبين صدقه وان الفرق بين الفرقة المحقه والمبطلة ان الاولى اتباع الامام والثانية اتباع الراي والهوى ثم يذكر بعد ذلك فصلا يقول فيه ان علامة الحق الوحدة وعلامة الباطل الكثرة وان الوحدة مع التعليم والكثرة مع الرأي وبالجملة فمحوره الذى يدور عليه فى كل مقاله اثبات المعلم المعصوم وان التوحيد هو التوحيد والنبوة معاً حتى يكون توحيداً وان النبوة هي النبوة والامامة معاً حتى تكون نبوة ثم انه منع العوام عن الخوض في الآلهيات والزمهم ان لا يزيدوا اذا سئلوا عن الصانع على القول بان الهنا هو إله محمد الذي أرسله بالهدى وهو الهادي اليه هذا مجمل تعاليم ابن الصباح التي اشتهرت بالدعوة الجديدة . أما تاريخ حياة الرجل فهو كما يأتي

كان الحسن بن الصباح مع عمر الخيامي ونظام الملك في مدرسة

واحدة فاصطحب الثلاثة مدة ثم تعاهدوا فيما بينهم على انه اذا تقدم أحدهم في الدولة وتقلد منصباً عالياً ساعد الآخرين حتى ترقى نظام الملك وتربع في دست وزارة السلطان سنجر السلجوقي فقال لصاحبيه اذن لكما ما شئتما فطلب عمر ان يعيش عيش الراحة والرفاهية بنيسابور فأجيب الى طلبه وطلب الحسن الولاية فأعطاه همدان ودينور ولكنه مع ذلك اشتعلت نار الحسد والغيرة في قلبه فاضمر الشر وأصر على الاحتيال لاخذه الوزارة من نظام الملك فاصطحب مع ندماء الملك ثم تحادث معهم في شأن الدولة وعرفهم احتياجها الى دفتر محتو على الصادر والوارد فأخبروا الملك بذلك فأحضر الوزير وطلب منه ذلك الدفتر فاستمهل السلطان سنة ليتمكن من اتقانه فامهله فانتهز الحسن الفرصة وحضر لدي الملك وعرفه بمقدرته على كتابته فى مدة أربعين يوماً فأجابه وعند ذلك شرع ابن الصباح في عمله ولما رأى نظام الملك ان الحيلة كادت ان تتم اقترح على خادمه ان يصطحب مع خادم ابن الصباح وقال له اذا تم الدفتر وأخذه الخادم الى الملك لينظره احتل انت على خادم الحسن واطلب منه ان تنظره فاذا أعطاك اياه فارمه الى الارض متظاهرا بسقوطه رغماً عن أنفك حتى يتبدد نظامه فلما تم الدفتر

على ما يرام فعل الخادم كما أمره الوزير وذهب به خادم الحسن الى الملك واذ رآه الملك كتاباً مدشتاً مختلطاً لا نظام له أخذ في تعنيف الحسن وتوبيخه وقال ان هذا تلاعب بالسلطنة فاضطرب واختلج لسانه وظهر للملك كذبه وكان الوزير حاضراً فقال للملك ألم أقل لحضرة السلطان ان دولة كبيرة كهذه الدولة لايمكن كتابة دفتر لها منظما الا في مدة سنة على الاقل فالذي يلتزم ان يكتبه في اربعين يوماً لايجيب الا (بهام ـ هوم) فطرد السلطان الحسن من المجلس بعد جلده ففر الحسن الى رودبار من أعمال جيلان واختلف على عبد الملك عطاس رئيس من دعاة الاسماعيليه ثم سافر من رودبار الى أصبهان ونزل عند رجل يقال له الرئيس أبي الفضل وصار يبلغه مذهب الاسماعيليه حتى اذا طالت مدته معه قال له الحسن يوماً اني لو اتفق معي اثنان ليمكنني ان أجعل سلطنة السلاجقة في خبر كان فحسبه الرئيس مجنوناً وخلط طعامه بدواء الماليخوليا فادرك الحسن ذلك وفر الى مصر في أيام خلافة المنتصر فاشفق عليه الخليفة وأكرمه ووجه اليه نظر العنايه ومكث عنده سنة ونصفاً حتى حدث شغب بين الخليفة وأمير الجيوش وذلك انه كان للخليفة ولدان يسمى أحدهما نذارا والآخر بأحمد المستعلي وكان الشعب يكره نذار

وأمير الجيوش يحبه فلما جعل الخليفة ولاية العهد لنذار لداعي انه الاكبر ثار الشعب فالتزم الخليفة عزله وجعلها لاحمد فتجادل معه الامير في ذلك وكثر بينهما القيل والقال والنزاع والجدال فاتفق الامير مع الحسن على تخليف نذار وتبليغ الناس ذلك فوشي بالحسن لدى الملك فحبسه في قلعة دمياط وصادف دخوله القلعة انهدام بعض ابراجها فظنت العامة ان ذلك من كراماته فخافوا منه واخيرا تمكن بواسطة الامير ان يفر وسافر الى المغرب وفي أثناء السفر اضطربت السفينة بمن فيها فأمنهم وطمنهم قائلا انها تسلم فصدق الواقع قوله فاحبه اهل السفينة ومن المغرب سافر الى الشام ومنها الى حلب ومنها الى بغداد ومنها الى خورستان ومنها الى اصفهان وسافر كل هذه الاسفار مختبئاً متخفياً ليتمكن من تبليغ الناس خلافة نزار ويدعوهم اليه وأرسل من طرفه دعاة الى ألموت ورودبار وقهستان فاجابه كثير وعند اقترابه من قلعة ألموت سكن في قرية وتزهد وتظاهر بالصلاح والتقوى حتى انخدع الناس وبايعوه وأخذوا بيده وادخلوه القلعة ليلا وذلك في رجب سنة اربعمائة واربع وثمانين وكان الوالي رجلا علوياً يدعى المهدي من قبل ملك شاه السلجوقي ففي يوم من الايام قال له الحسن اعطني من

القلعة (ملكا) مقدار جلد بقرة في مقابلة ثلاثة الآلاف ديناراً وكتب
تحويلا بها الى الرئيس مظفر بجرجوه من جهات وامغان وهو وال
ولكنه اسماعيلي باطناً وعبارة التحويل هكذا رئيس مظفر حفظه
الله مبلغ ثلاث آلاف دينار ثمن قلعة ألموت سلمها للمهدي العلوي
فاعطاه المبلغ المذكور فبسط الحسن الجلد بالخيوط حتي ملأ القلعة
فقال للحاكم ان القلعة صارت ملكي فنفر الحاكم وكتب الحسن
للرئيس أبي الفضل يعيد عليه ماقاله له أولا وقال له قد اقترب صدق
مقالتي وبعث الحسن والدعاة الى الجهات الايرانية والطورانية فقبلوا
طريقته ولم تزل الدنيا مقبلة علي الحسن حتى تسلط على كثير من
البلدان وصار الرئيس لطائفة الاسماعيلية وكانت أيام سلطنته ٣٣ سنة
وتخلف بعده سبعة انفس ملكوا قريباً من واحد وثمانين سنة وفي
آخر مدتهم ظهر هلاكو وخذلهم وفتح بلادهم وقلب عرشهم

قال نصير الدين الطوسي في تاريخه انه في سنة ستمائة واربع وخمسين
يوم الاثنين غرة القعده صباحاً رأيت بعيني خور شاه سلطان
الاسماعيليه نزل عن التخت ووقف امام هلاكو كعبد من عبيده

وكانت دعوة الحسن في أول أمرها وابان ظهورها واشتعال
نارها وتأجج لهيبها الوقت ظهور أبي حامد واشتهاره فورد عليه أمر

جازم من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب في الرد عليهم ودحض
ما لديهم كما قدمنا فألف أبو حامد في مناقضتهم كتباً أظهر فيها
عوراتهم ورد عليهم في قولهم بالحاجة الى اقامة معلم معصوم بان المعلم
المعصوم انما هو صاحب الشريعة عليه السلام فانه ابان عن طريق
الرشد واوضح المحجة وأكمل الحجة واتم الارشاد والتعليم (اليوم
اكملت لكم دينكم) وبأن طريق المعرفة الاصولية هو النظر الصحيح
يعني المستوفي للشرائط المعتبرة عند ارباب فن الميزان ورد عليهم
في شرودهم بالتأويل عن الجادة وتوغلهم فيه بلا نظام ولا قانون
بان ذلك يبطل الثقة ولا يبقى معه ما يسمى باللغة وبأنه مناقض لاصل
اصول الاديان من الجمع بين اصلاح العامة وتعليم الخاصة فالمنتحل
له صارف عن سبيل الانبياء وذلك ليس من حدود العلم والعلماء
وبالجملة فقد صنف في الرد عليهم عدة رسائل منها المستظهرى وحجة
الحق وهو جواب كلام عرض عليه ببغداد ومنها مفصل الخلاف
المقسم الى اثناعشر فصلا وهو جواب كلام عرض عليه بهمذان ومنها الدرج
المرقوم بالجداول وهو جواب عن ركيك من كلامهم عرض عليه
بطوس ومنها القسطاس يذكر فيه موازين العلوم واظهار الاستغناء
عن الامام المعصوم

ولما فرغ من ذلك كله علم ان ما حصله ليس وافياً بكمال
الغرض وان العقل لا يستقل بالاحاطة بجميع المطالب ولا بالكشف
عن جميع المعضلات وان المطلوب هو استخلاص الحق من بين
اضطرابات الفرق والتمييز بين جميع المسالك والطرق فاقبل بهمته
على درس طريقة الصوفية من مطالعة كتبهم مثل قوت القلوب
لابي طالب المكي وكتب الحرث المحاسبي والمتفرقات المأثورة عن
الجنيد والشبلي وغير ذلك من كلام مشايخهم حتي اطلع على كنه
مقاصدهم العلمية وحصل ما يمكن ان يحصل من طريقهم بالتعلم
والسماع فعلم ان طريقهم انما تتم بعلم وعمل اذا كان غاية مايقصدون
قطع عقبات النفس والتنزه عن اخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتي
يتخلى القلب عن غير الله ويتحلي بذكر الله وظهر له ان اخص خواصهم
من لايمكن الوصول الى درجته بالتعلم والسماع بل بالذوق والسلوك لكن
اماماً كهذا الامام له من الشهرة وبعد الصيت والشأن الرفيع والجاه
العريض والحال المرتب المنظوم والامر الصافي عن منازعة الخصوم ما
لا يدعه يقدم علي عمل مفتاحه قطع العلائق من الدنيا بالكلية بحيث
لا يلتفت القلب الى أهل وولد ومال ووطن ومنصب وولاية وحتى
يصير الى حالة يستوى عنده وجودها وعدمها يتعذر عليه الخوض في

ذلك البحر الذي وقفت الرجال بساحله اللهم الا اذا صادفته العناية وكان
قوة الجاش وعلو الهمة واستمساك النفس في اسمى مكانة (ولمثل
ذلك قال عليه السلام ان لربكم فى أيام دهركم نفحات الا فتعرضوا
لها) فلم يزل يتفكر في ذلك عدة شهور اولها رجب سنة ثمان وثمانين
واربعمائة وصار يتردد بين تجاذب هذه الاحوال وتلك الاعمال فيوماً
يصمم العزم على الخروج من بغداد ويوماً يحل وصار يقدم رجلا
ويؤخر اخرى لايصفو له رغبة في طلب تلك السعادة العملية بكرة
حتى يحمل عليها جند الشهوة فيفترها عشية كل ذلك ومنادى
الايمان يناديه الرحيل الرحيل فلم تبق من العمر الا قليل وبين يديك
السفر الطويل وجميع ما انت فيه رياء وتخييل حتى اذا غاص فكره
يوماً في حقيقة هذه الدنيا ولذاتها علم ان مدتها منحصرة ولذاتها
منصرمة منقضية وان الموت وراء الانسان بالمرصاد وان الامل
في الخلود غفلة وغرور وحمق وجنون وان الحزم هو ابعاد القلب
عنها طوعاً قبل ان يطرد منها كرهاً وان امر الدنيا غاد ورائح وليس
صفاؤها بابدي دائم بل الانسان معرض فيها لانواع من الشقاء
وان الانحطاط عن همة الانبياء عيش البؤساء ودناءة في الرجاء وان
المؤمن السليم بماذا يتميز عن الكافر اللئيم الا بعلو الهمه وسقوط

رتبة الدنيا في عينه وترفعه عن مشاركة العجماء في هذه الاشياء واستولى ذلك الفكر على قلبه وملك قواه واشمأزت نفسه عما هو عاكف عليه ونفرت بالكلية وانقبضت انقباضاً شديداً أورثه حزنا في القلب ضعفت معه قوة الهضم حتى قطع الاطباء طمعهم في العلاج وقالوا هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى الى المزاج فلاسبيل الى علاجه الا بأن يتروح السر عن الهم الملم فصغر هذا المرض الدنيا في عينه وسقطت منزلتها عنده وبغضها اليه فسهل عليه الاعراض عن الجاه والمال والاهل والولد والاصحاب وصدقت نيته فى الاقدام على هذا العمل واستشار بعض متبوعي الصوفية في الانقطاع الى تلاوة القرآن فمنعه وقال السبيل ان تستمر علي قطع العلايق وتهذيب النفس من الرزائل والنقائص وتلاحظ نفسك فى ذلك دائماً حتى يصير ملكة لك والاقرب الى ذلك هو مفارقة الوطن والعيال والخروج من العراق وملازمة الاعتكاف والتحنث حتى اذا رسخ في النفس ذلك الحال لازمت الخلوة للتفكر ومطالعة ملكوت السموات والارض الى ان تكمل صفاتك وتتحلى بالفضائل بعد هذا التخلي عن الرذائل وعند ذلك تستأهل لان تكون اماماً لا شغل لك الا دعوة الخلق الى الحق والضرب علي يد الظالم

بما يمكن ففارق بغداد في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين واربعمائة وفرق ماكان معه من المال ولم يدخر الا قوت الاطفال وقدر الكفاف ودخل الشام واقام بها قريباً من سنتين لا شغل له الا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة لتزكية النفس وتهذيب الاخلاق وتصفية القلب لذكر الله حسبما حصله من علم الصوفية ثم رحل منها الى بيت المقدس ومنها الى اداء فريضة الحج ثم قصد مصر على عزم الاجتماع بالامير يوسف بن تاشفين و بينما هو كذلك اذ سمع نعي يوسف فصرف عزمه عن تلك الناحية واستمر يجول في البلدان وهام على وجهه في البراري والقفار لابساً المرقعة ومعه المزود وبيده العصا وبينما هو على تلك الحال اذ لقيه بعض اصحابه فعزله عليها والتمس منه الرجوع الى الوطن ومعاودة ماكان عليه فاعرض عنه بوجهه وأنشد

تركت هوى ليلى وسعدي بمنزل
وعدت الى مصحوب اول منزل
ونادتني الاشواق مهلا فهذه
منازل من تهوى رويدك فانزل

وبالآخرة عاود الوطن واشتغل بتكميل نفسه ودعوة الخلق

الى ما فيه صلاحهم وبالتصنيف في العلوم المفيدة والمسائل السديدة واخذ يذكر في كتبه ما استفاده في مدة الخلوة والعزلة من معنى النبوة ومن معنى التكليف وغيرهما من المسائل الاصوليه الاساسية وكان مما استفاده ما ذكره في كتابه مشكاة الانوار من معنى النور ودرجاته وشرح الآية المباركة (الله نور السموات والارض الخ) لذلك راينا نشره لما فيه من المنفعة الكبرى والفائدة العظمى واضفنا اليه هذه الترجمة المسهبة

ولما استقر بوطنه اتخذ خانقاهً للصوفية ومدرسةً للمشتغلين بالعلم في جواره ووزع اوقاته على وظائف الخير من تلاوة القرآن ومجالسة اهل القلوب والتصنيف في العلوم الحقة الحقيقية كما قدمنا فكتب اليه الوزير نظام الملك يستدعيه الى بغداد والتدريس بالنظامية فابى وكتب اليه جواباً شافياً هذا نصه

بسم الله الرحمن الرحيم ولكل وجهة هو

موليها فاستبقوا الخيرات

اعلم ان الخلق في توجههم الى ماهو قبلتهم ثلاث طوائف احداها العوام الذين قصرو نظرهم على العاجل من الدنيا فمثلهم [illegible] بقوله ماذئبان ضاريان في زريبة غنم بأكثر افسادا من حب المال والشرف

في دين المرء المسلم (ثانيتها) الخواص وهم الموجهون للآخرة العالمون بانها خير وابقى العاملون لها الاعمال الصالحة فنسب اليهم التقصير بقوله الدنيا حرام على اهل الآخرة والآخرة حرام على أهل الدنيا وهما حرامان على اهل الله (ثالثتها) الاخصاء وهم الذين علموا ان كل شيء فوقه شيء آخر فهو من الآفلين والعاقل لا يحب الآفلين وتحققوا ان الدنيا والآخرة من بعض مخلوقات الله واعظم امورهما الاجوفان المطعم والمنكح وقد شاركهم في ذلك كل البهائم والدواب فليس واحد منهما مرتبة سنية فاعرضوا عنهما وتعرضوا لخالقهما وموجدهما ومالكهما وكشف لهم معنى والله خير وابقى وتحقق عندهم حقيقة لا اله الا الله وان كل من توجه الى ما سواه فهو ليس بخال عن الشرك الخفي فصار جميع الموجودات عندهم قسمين الله وما سواه واتخذوا ذلك كفتي ميزان وقلبهم لسان ذلك الميزان فكلما راوا قلوبهم مائلة الى الكفة الشريفة حكموا بثقل كفة الحسنات وكلما رأوها خسيسه حكموا بثقل كفة السيئات وكما ان الطبقة الاولى عوام بالنسبه الى الثانية فكذلك الطبقة الثانية بالنسبة الى الثالثة فرجعت الطبقات الثلاث الى طبقتين فحينئذ اقول قد دعاني صدر الوزراء من المرتبة العليا الى المرتبة الدنيا وانا ادعوه من المرتبة الدنيا الى المرتبة العليا

التي هي اعلى عليين والطريق الى الله من بغداد ومن طوس ومن كل المواضع واحد ليس بعضها اقرب من بعض فاسأل الله ان يوقظه من نومة الغفلة لينظر في يومه لغده قبل ان يخرج الامر من يده والسلام اه

ثم توفي بعد ذلك بقليل يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة بوطنه طوس ومشهده بها يزار بمقبرة الطابران ورثاه ابو المظفر الابيوردي بقصيدة فائية منها

بكي على حجة الاسلام حين ثوى
من كل حي عظيم القدر اشرفه
فما لمن تمتري في الله عبرته
على ابي حامد لاح يعنفه
ومنها
مضى واعظم مفقود فجعت به	من لانظير له في الناس يخلفه

هذا وكان في عزمنا ان نعقب هذه الترجمة ببسط عناصر تعاليمه وتشريح بنية مبادئه ولكن الزمان لم يسمح ولعزمنا لم يرضخ بل كتبنا ما كتبناه على عجل لتراكم الاشغال وتبلبل البال فنسأله تعالى ان يصلح الحال ويصفح عن سقطة القلم انه خير من عفى ورحم

سطر	صحيفة	خطأ	صواب
١٤	١٧	لانه مظلم وسمى	لان المظلم انماسمى
٧	١٨	يترقى	ترقى
٩	»»	لانه	لا أنه
١٣	١٩	واستهوت	واستوفت
٦	٢٠	المرأه	المرآه
٩	٢١	طبيعتي	طبقتي
٧	٢٢	الانوار	النور
٠١	»	يرتيبها	ترتيبها
١٦	٢٣	كنهه	كهيئة
١	»	الاشارة	اشارة
١	٢٨	بيان	لبيان
٤	٣٠	لشرحه	بشرحه
٥	»	عرفك	أعرفك
١٥	»	مافوقه اقولا فقال	مافوقه فقال
١	٣١	فمنه من يقول	فمنه يقول
١٢	»	يجيب عن الافعال بالافعال	يجيب بالافعال

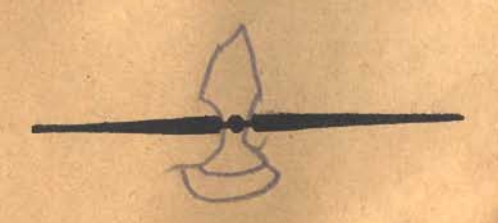
سطر	صحيفة	خطا	صواب
١٣	٣٦	فى	من
١٥	«	اشد	سوى
١٤	٣٧	الضوء والنهار	الطور والنار
١	٣٨	عن	على
١٣	«	»	»
١٠	٣٩	الحيوان	الحيواني
٨	٤٩	يوتكب	يركب
١١	«	ظلم	ظلمة
٠٢	٥٢	اشتعال	اشعال
٩	٥٩	الأثر	الاسر
٩	٦٢	الغرض	الفرض
١	٦٣	اعتقدوا	اعتمدوا
٤	٦٥	المتصور	المقصود
١٤	٦٧	ينصو	ينصر
١٣	٦٨	التميز	التحيز
٥	٦٩	الشرع	التسرع

سطر	صحيفة	خطا	صواب
١	٧٠	اكتبه	اكتنه
٠١	«	الاكثريه	الاكثرية
٣	٧٢	امام	امامه
٢	٧٦	وامعان	دمغان
٨	«	بث والدعاه	بث الدعاه

(تنبيه)

حصل فى آخر صحيفة ٤٨ سقوط هذه الجمل

بل احسن منها فاي ظلمة أشد من ذلك فقد حجب هؤلاء بمحض الظلمة وفرقة رأت ان غاية السعادة هي الغلبة والاستيلاء والسبي والقتل والاسر



اعلان

﴿ عن الكتب التي طبعت بمعرفتنا من أرادها فليخابرنا ﴾

فتاوي الغياثيه مع فتاوي ابن نجيم

شرح ابن امير الحاج على تحرير الاصول لابن الهمام

شرح الاسنوي على منهاج البيضاوي

كشف الاسرار مع نور الانوار وقمر الاقمار كلها على المنار

شرح المسامرة على المسايرة للكمال بن الهمام في التوحيد

كتاب سيبويه محشى مع شواهد الاعلم والكتب المذكورة

كلها طبع ميري

مجموعة شروح التلخيص وحواشيه

(طبع ميري) اعني عروس الافراح للسبكي ومواهب

الفتاح لابن يعقوب والايضاح للمصنف وحاشية الدسوقي كما

موافق مع اصل الشرح

شرح تهذيب الكلام لامام المتأخرين الشيخ عبد القادر

السنندجي الكردستاني وحاشيه المحاكمات لاخيه المحقق

﴿ بيان الكتب التي تحت الطبع ﴾

مستصفى الاصول للغزالي مع شرح مسلم الثبوت

شرح منظومة الكواكبي في الاصول والفروع

﴿ فرج الله زكي الكردستاني بمصر ﴾